المؤتمر الدولي الثامن

الصحة والبئية في إطار التنمية المستدامة

الاتحاد العربي للتنمية المستدامة

2018

ملامح الثقافة البيئية واستدامة الصحة

دراسة ميدانية في الشلاتين

د/ جيهان حسن مصطفي

دكتوراة في الأنثروبولوجيا الثقافية – جامعة القاهرة

أصبحت قضية البيئة و الأستدامة الصحية من أهم القضايا التي تشغل المجتمع العالمي في الوقت الراهن. إن إدراك الجميع لما تمثله المشاكل البيئية والتلوث البيئي من خطر على الحياة البشرية والتنمية الاقتصادية على المدى القصير والطويل. جعل من عملية الحفاظ على البيئة وصحة الإنسان بعدا استراتيجيا لأنها شرط أساسي لتحقيق التنمية المستدامة. فالتأهيل البيئي يستلزم التقليل من المشاكل البيئية والتي تنتج من جراء تفاعل الفرد واثقافتة المضادة للبيئة والأهتمام بالصحة البيئية لتقييم و السيطرة على هذه العوامل التي تؤثر على الصحة. الإنسان بهدف الإستدامة الصحية والوقاية من الأمراض و خلق بيئة من شأنها دعم الصحة. .

إن البناء الاجتماعي هو أحد الأعمدة الرئيسية التي تدور حوله المشكلات البيئية والتي تنطلق من العادات والتقاليد لتعبر عن حصيلة تفاعل الإنسان مع كلًا من الطبيعة والمجتمع. وبالثقافة يصنع الإنسان القيم الفكرية والروحية والمادية، ويترجم فلسفتة إلي أنماط سلوكية ومواقف حياتية، أطرد تطبيقها حلولا لمشكلات متجددة، وانقلبت خلال إطردها إلى قواعد دارجة يلتزمها الناس في علاقاتهم التي تلازمحركه المجتمع وأطوار تكوينه الاجتماعي، متأثره بجمله العوامل الذاتيةوالموضوعية لتساهم في تطور أو تخلف هذا المجتمع. والبحث في مصدر العاداتوالتقاليد يجب أن يكون تاليا على البحث فى طبيعة المشاكل البيئية والاجتماعية التي يواجهه امجتمع الشلاتين، والتي جاءت هذه العادات والتقاليد كحلول لها أبدعها المجتمع ذاته. ودعمها الموروث الشعبي لتلك الجماعات القبلية.

فالتفاعل القائم بين الثقافة والبيئة بتأثيراته الايجابية والتي تهدف إلى تحقيق أقصى درجة ممكنة من استغلال البيئة. إلا أنه في نفس الوقت من خلال موروثاته الشعبية وسلوكياته

السالبة التي يمارسها أبناء المجتمع بعوامل الجهالة والأنانية، والتي من شأنها تخريب البيئة وإحداث خلل في نظامها الإيكولوجي وماصاحب هذا الخلل من مشكلات صحية.

ولما كان السلوك المناصر للبيئة أو الداعم لها Pro Environmental يشير إلى أشكال السلوك التي تهدف إلى حماية البيئة وصيانتها(1)، فإنه من الممكن إطلاق مفهوم السلوك المضاد للبيئة Anti-Environment Behavior مشيرًا إلى أشكال السلوك التي تؤدي بقصد أو دون قصد إلى إتلاف البيئة وإلحاق الضرر بها في كافة جوانبها.(2)

فمشكلة التلوث البيئي والأضرار التي نتجت عنها مشكلة اجتماعية تتعلق بسلوك الإنسان وموقفه من الطبيعة. والواقع أن هذه السلوكيات تتمتع بخصوصية شديده، تؤثر في جودة الحياة؛ لذا تحاول الباحثة عرض بعض من نماذج السلوك المضاد للبيئة والتي لها سلبياتها على البيئة وصحه الإنسان ومنها:

أولاً: العادات اليومية للحياة في مجتمع البحث وعلاقتها بصحة البيئة

حدد أسلوب الحياة المعيشية في البيئة البدوية التي تتسم بها الشلاتين، وجود بعض العادات اليومية في احداث التلوث الذي يهدد أساسيات الحياة على الأرض علي النحو التالي:

استخدام الفحم النباتي كوقود

يعد استخدام الوقود الخشبي سلوكًا مضادًا للبيئة، حيث يلعب دورًا أساسيًا في أسلوب معيشة أهالي مجتمع الشلاتين. وقد يقع على عاتق المرأة من هذا التلوث والاستنزاف من خلال تأديتها لأدوارها المختلفة، فهي تسهم بنصيب كبير في التلوث البيئي، ذلك لأنها المسئولة الأولى عن تلك الممارسات والسلوكيات السالبة؛ التي تسهم في حدوث ضعف وتدهور الطبيعة، وهو في حد ذاته ضعف وتدهور لصحة الإنسان من الجانب الآخر. وعليه فإن الضرر اللاحق بالبيئة محتم، إذ تتراكم تصاعدات الغازات والدخان في الجو مسببة أضرارًا بالبيئة والبشر معًا. فالبيئة لا يمكن رؤيتها بمعزل عن مكوناتها، وخاصة ما يتعلق بالبشر.

---

(1) Bryan E. Parter and others, Solid waste recovery , a view point of behavioral programs to increase recycling, Journal of environmental behavior, Vol. , 27 No. 2, Match 1995. PP. 145-144.

(2) عبدالله أحمد مصطفى، استخدام المشروعات البيئية في التنمية، سلوكيات إيجابية نحو البيئة، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية، 2005، ص 5.

فلا يمكن رؤية البيئة كمكان منزوع عن عالم النشاط الإنساني(1). فالمواقد المستخدمة في عملية الطهي يمكن أن تمثل خطرًا على الصحة.

لذا أشار كرزنوفسكي أن تلوث الهواء الناتج عن الدخان المنبعث خلال عملية حرق أفرع الأشجار واستخدامه كوقود يسبب أمراضًا مثل عدوى تنفسية حادة ويصبح الطفل معرضًا للإصابة بها مرتين أو ثلاث أكثر من غيره إذا تعرض لمثل هذا الهواء الملوث، وأضاف بأن خطر الإصابة بأمراض رئوية مثل التهاب القصبة الهوائية المزمن يزداد لدى النساء اللواتي يطبخن على تلك المواد من الفحم والخشب، وأن الإصابة بسرطان الرئة لدى السيدات مرتبط بشكل مباشر باستخدام الفحم الذي يتم حرقه في المواقد، ووضح العلاقة بين ارتباط التلوث بالربو والسل ونقص الوزن عند الولادة، ووفيات الأطفال ووجود ماء على العين "كتراكت". فمثل هذه المجتمعات أغلب الناس فيها معرضون للخطر بسبب فقرهم وعجزهم عن توفير حياة آمنة فالفاقة تجبر أكثر من ثلث الإنسانية على طهي طعامهم على شعلة تحرق وقودها من المصادر الطبيعية التي تتميز بشكل بسيط منذ العصر الحجري، وحولت تلك المساكن إلى فخاخ للموت للنساء والأطفال.(2)

وقد تفيد الدراسة الميدانية والشواهد الميدانية التي تؤكد أن جماعات الدارسة التي تفتقر إلى إمدادات الكهرباء والمرافق الصحية والمياه النقية تجعلها تضطر إلى استخدام مثل هذه المواقد وتسمى (دَوُقَينَات) وتتكون من ثلاثة أحجار يضعون عليها إناء من الفخار للطبخ ويسمى (تَوُأ)، وإناء العجن (الكَهُولَت) أو إناء للعصيده (كُليوَت) وكذلك تستخدم المرحاكة تضع من حجارة الدوقينات ويسمى شقى الرحى وهو الشق الأسفل والحجر (تيولاب) ومقداحة النار (نَتَاد) المكونة من حجر يدق على شكل سوار بيضاوى(3) حيث تجلس أمامها عددًا كبيرًا من الساعات في اليوم مما يزيد من معدلات الخطورة على صحتها وصحة أبنائها. ويعتقد أبناء المنطقة أن دخان الخشب المتصاعد من تلك المواقد يكسب الطعام رائحة خاصة، هذا بالإضافة إلي استخدامه مرات عديده ليعطي درجة عالية لنضج الطعام.

ثانيًا: سلوكيات الأفراد وعلاقتها بالصحة في مجتمع البحث

---

(1)Marian R. Chertow and Daniel C. Esty (editors): Thinking ecologically: the next generation of Environmental policy, Yal University press, 1997, P. 19.

(2) Leigh Johnson, "Woods Institute for the Environment Volues and Behaviors", Stanford University, 2006, p. 54.

(3) انظر أخبارية رقم (19).

تعد حالة المرافق والخدمات من أهم المؤشرات الفرعية التي تشكل نمطًا للبيئة الفيزيقية للفرد ومن الجانب الآخر فهي تؤثر تأثيرا كبيراً علي الحالة الصحية وما يرتبط بها من عادات النظافة الشخصية والنظافة العامة. بمعني أن البيئة البدوية قليلة الموارد، لهذا فهي تعتمد على المياه الجوفية في الشرب والنظافة والطهى وقد تكون مالحة وشديده الملوحة حينًا آخر، ورغم ذلك يضطر الأهالي إلى الاعتماد عليها[1] حيث يستعمل سكان مجتمع البحث المياه في عدة أغراض (منها الشرب) – وغسل الملابس والأواني، وسقي الماشية، فحين يستخدمها سكان المنطقة للشرب وهى غير نظيفة، فإن ذلك ينتج عنه عدة أمراض مثل التيفويد والباراتيفود، وهي أمراض معدية، تسبب الإسهال للأطفال، وكذلك تلوث الآبار نتيجة تبول الحيوانات ثم يتناولها للشرب أو يتم الوضوء بها. فالسلوكيات التي تنم عن الجهل بالعبادات الدينية دون مراعاة لبعض من الأمور التي ينهانا الرسول عليه الصلاة والسلام عنها وهى (أن يبال في الماء الجاري) وذلك النهى هدفة المحافظة على نظافة الماء من التلوث.[2]

ومن ثم فإن عدم الحفاظ على الموارد المائية سبب لهذا التلوث البكتيري في مياه الآبار كمقياس لعدم جودة المياه من وجهة نظر الصحة العامة مما أدى إلى وجود أعداد من البكتيريا البرازية أعلى من المسموح بها[3] ومن هنا يمكن القول بأن سلوكيات الإنسان المرتبطة بالعادات اليومية تلعب دورًا مهما في الإصابة بالعديد من الأمراض وانتشارها بين سكان مجتمع البحث.

فالملاحظ أن هذه الجماعات تحفظ المياه فيما يسمي بالسعن وهو ماعون ليحفظ فيه الماء ليبرده وهو عادة يصنع من جلود الاغنام ولكن يسهل به وجود بعض من البكتريا لعدم نظافته، كما يسهل به وجود بعض من الحشرات الطائرة كالذباب فهم لايجدون غضاضة من المياه الملوثة أو المياه التي وقعت بداخلها ذباب، فهو أمر كثير الحدوث، وترجعه الباحثة إلى انتشار الأمية، وعدم الوعي الصحي الذي كان سببًا في تناول الماء بشكل طبيعي أو استخدامه في طهي العصيده بعد رفع الذبابة من الوعاء، ويتم طهيه بصورة عادية وطبيعية. فقد يرى أن الذباب لا يمثل مشكلة صحية أو يكون سببًا وعرضًا للعديد من الأمراض. فالمياه وسيلة رئيسية لنقل حالات الحمى المعوية؛ والتيفويد؛ والدوسنتاريا؛والبلهارسيا؛ والطفيليات. لذلك لابد من منع هذه الإصابات والتي تعتمد على تغيير السلوك البشرى وعلى النظافة الشخصية

---

(1) على محمد المكاوي؛ البيئة والصحة دراسة في علم الاجتماعمرجع سبق ذكره، ص91.

(2) محمد عبدالقادر الفقي؛ البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث؛ مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع القاهرة؛ 1993؛ ص 69.

(3) تقرير حالة البيئة في مصر؛ برنامج الرصد البيئى للمياه الساحلية المصرية؛ جهاز شئون البيئة 2005؛ص185.

وإمداد السكان بالمياه المأمونة والوعى الصحي للكبار والصغار[1] فمازالت جماعات الدراسة تشترى الماء لعدم توفر الإمداد بماء الشرب.

(1) نظافة الأواني والملابس

فرض إيقاع الحياة بمجتمع البحث مجموعة من العادات السلوكية التي تتسم بخصوصية ثقافية والتي تتمثل في عملية نظافة أواني الطعام حيث تتم خارج مسكن البرش وخارج بيوت التوطين كما اعتاد النساء على ذلك حتى بعد التوطين لبعض أبناء المجتمع الذين تم توطينهم فقلة وجود المياه، وصعوبة وجودها والمتمثلة في السيارات الخاصة بالمحافظة التي ترسل سيارة (فنطاس المياه) كل ثلاثة أيام حيث يقتصر استخدام المياه المنقولة على أغراض الشرب والاستخدامات المنزلية التى لا تخلو من مسببات بعض الأمراض والمترتبة على عملية نقل المياه وتخزينها بواسطة تلك السيارات حيث تظهر بها علامات الصدأ بداخل خزانات هذه السيارات فهي غير مطابقة للاشتراطات الصحية والبيئية فتتهالك خزانتها نتيجة عدم نظافتها وعدم الاهتمام بالغسيل الدورى لها، مما أدى لتراكم الرواسب ونمو الطحالب والصداء بداخل هذه الخزانات المصنوعة من الصاج، والتي يتم تخزين المياه لفترة طويلة في تلك السيارات إلى أن توزع، وتعتبر مصدراً للتلوث، حيث نجد هذه السيارات الخاصة بالمجلس المحلي قديمة وبها علامات الصدأ من داخل المياه وعلى الرغم من ذلك لم يهتم الحكم المحلى بتجديد تلك السيارات أو صيانتها لذلك فهي سبب لنقل الأمراض أما المياه المباعة من بئر الجاهليةيتم تخزينها باستخدام براميل من البلاستيك سواء أكانت فى أحيان كثيرة لم تكن مغطاة مما يسهل لها مناخاً ملائماً لتوالد الحشرات، مثل البعوض أو الذباب وتكاثر توزيع الميكروبات، فإن تخزين المياه والاستخدام السيئ لها يؤدى فى النهاية إلى تلوث المياه التى تتزايد يوماً بعد يوم كما انها لا تستخدم في نظافة الأواني لأنها تستخدم للشرب وقد يستخدموها لشرب الحيوانات وخاصة عند جفاف الآبار المحيطة بالمسكن. ولذلك يتم غسل الأواني بالمياه بعد استخدامها أكثر من مرة، كما نجد تراكم المياه الناتجة من نظافة الأوانى سببًا لتجمع الذباب التي تنقل العديد من الأمراض فهي من الوسائل النشطة لنقل الملوثات والتي تعود على الفرد والأسرة في المقام الأول بحالات الإعياء وعدم القدرة على الإنجاز، وتسبب له الأذى.

أما نظافة الأواني في الصحراء أثناء وجود المرأة في رحلة الرعي مع زوجها فيكون بالرمال ثم مسحها بقطعة من القماش وقليل من الماء، وهكذا يقوم الرجل أثناء رحلة رعيه إذا كان

---

(2) Gillett,j. D, " thebehaviors of homo sapiens,the forgotten factor in the trans mission of trobical disease in transactions of the royal society. Med&Hyg, 1985 vol 79, No. 1. pp12.

بدون زوجته، فيحاول غسل الأواني التي يستخدمها في طهي العصيده، أو عمل الخبز أو أثناء نحر الذبيحة لإقامة السلات (اللحم الذي يشوي بداخل حفرة بها حبات الزلط)، فيتم دعك الأواني برمال الصحراء نتيجة أن كمية الدهون المتراكمة عليها كبيرة، ثم بالماء القليل مرة أخرى.

أما نظافة الملابس فتتم أيضًا خارج المسكن، حيث إن نقص الإمداد الكافي للمياه يجعل المرأة تستخدم المياه الملوثة التي تستخدمها أكثر من مرة في تنظيف الملابس. ونخلص من ذلك إلى أن إمدادات المياه النقية ذات أهمية لصحة المجتمع، وتبقى هى مشكلة الصحة العامة، لذا يجب أن تكون المياه المستخدمة للاستهلاك اليومي في النظافة الشخصية وغسيل الملابس وإعداد الطعام نقية من أجل الحفاظ على الصحة[1] ولا يقتصر أثر التلوث في الشلاتين علي تلوث الهواء، والماء وإنما يمتد إلي تلوث الغذاء ومن السلوكيات الخاصة بنظافة الطعام والتي تنطوي بداخل العادات الغذائية عند جماعات الدراسة لذلك تشير الشواهد الميدانية أن هناك العديد من السلوكيات الخاطئة المسئولة عنها المرأة وهي عدم غسل الخضار جيدًا، كما أنهم لا يقومون بنظافة اللحم المذبوح أثناء طهى(السلات) وهي وجبة تتكون من اللحم المشوي في جورة يحفرها البدوي في الرمل ويوضع في الحفرة فحم ويرص عليه الزلط حتي يسوي ويقدم بعدها ساخنة [2]وكذلك وجبة (السلول) أو (الشرموط) وهى عبارة عن لحم وهو لحم غير ناضج يتم تقطيعه لشرائح طويلة بعرض 2سم وتعلق على الأشجار لمدة شهر ثم تطحن ويطبخ بها أو تقطّع لقطع صغيرة أثناء طهي الطعام، مما يسهل تعرضه للبكتريا، والتلوث، وهو ما يتضح شكله بالملحق في الصورة رقم (3).فقلة المياه وعدم توافرها، واعتياد البدو على عدم نظافة اللحم أو الخضار، سهل انتقال الأمراض المعدية وشيوع تكرار مرات الإسهال عند الأطفال أكثر من 3 مرات في الشهر الواحد كما يتم تناول وجبة الطعام دون غسل الأيدي مما يجعلهم عرضة للمزيد من الأمراض، وخاصة النزلات المعوية التي ترجع إلى تدني مستوي النظافة في المأكل والمشرب وخاصة عند الأطفال. فإن تلوث الغذاء يساهم بنسبة 15 -70% في حدوث حالات الإسهال[3] ولهذا يمكن القول بأن قلة النظافة والجهل والقصور في الرعاية الطبية من العناصر الحاسمة للإصابة بهذه الأمراض الوبائية، ومن السلوكيات التي اعتاد عليها بدو البشارية والعبابدة والتي تساهم في تلوث الغذاء باستخدام (المشعليب) أو المعلاق هو أداة تستخدم لحفظ المأكولات وهي عبارة عن طبق يصنع من السعف وذلك عبر

(1) DeBlij,H. j,Human geography and Culture Society , john Wiley & , Sons, INC ,New York ,1996,p. 99.

(2) انظر إلى الصورة بالملحق.

(3) Huttly, S. R. A The Impact of Inadequate Sanitary Condition on health in developing Countries W H O, Statistics quarterly, 1990 , vol 43,No. 3, pp. 118.

تعرضها للهواء ويعلق فى منتصف بيت البرش ويوضع فيه الطعام او اللبن ويعلق عاليًا وهو عادة يصنع من سعف النخيل على شكل دائري لحفظ الطعام، وهو ما يتضح بالملحقفي الصورتين(4) و (5) التي توضحان أنواع من المشعليب وهو إناء يستخدم لحفظ وتخزين الطعام[1]، وصورة أخرى توضح نوع آخر من المشعليب.

إلا أنه كثيرا ما يتعرض إلى التلوث والتي تصل إلى درجة التلوث البكتيري ومن هنا يؤكد عبدالباسط الجمل أن التلوث البكتيري يؤدى إلى إفراز السموم بداخل الأغذية، مما يؤثر كثيرًا على صحة الإنسان[2]. وفى النهاية نجد عدم توافر نظافة الطعام والخضروات في مجتمع الدراسة لنقص المياه حينا وللعادات الاجتماعية الثقافية حينًا آخر، فقد يتلوث الطعام خلال إعداده وخاصة تلوث غذاء الرضيع بالبكتريا عند فطامه وأيضًا عند إعداد طعام الكبار، ومن العوامل الثقافية مايتصل بإعداد الطعام وتناوله فالعادات الشعبية لاتعمل منفردة بل تتخللها المعتقدات الثقافية التقليدية التي لها علاقة بجوانب الصحة والمرض ويلعب عدم الوعي الصحي للجماعات البدوية دورًا بارز في تناول العروسين أحشاء الذبيحة نيئة أثناء ذبح الذبائح في الاحتفال بليالي العرس والزواج ليرزق الله العروسين بالبنين والبنات، ولتمتع العروس بالخصوبة كما من عاداتهم الغذائية التقليدية والمستمرة حتى الآن هي تناول كبدة الخروف والمرارة نيئة بإضافة التوابل والليمون[3]. فتناول الأحشاء الداخلية بدون طهي يعرض متناوليها للأصابة بمرض تنيا الديدان، والتي تنتقل عن طريق تناول لحم الحيوان دون طهي ووصوله إلى معدة الإنسان، حيث تنتقل الديدان من الحيوان بدورتها إلى جسم الإنسان عن طريق تناوله للحم أو لبن الإبل أو الماعز بدون غلي مما يسبب انتقال الديدان من الحيوان المصاب إلى الإنسان كما يكون سببًا للأمراض المعدية والإسهال[4]، فقد يعتقد البدو أن غلي لبن الإبل وشربه دافئا يسبب اضطرابات معوية، أما إذا شرب باردًا فلا بأس منه ويزيل العطش، ويقاوم الجفاف فمازالت الجوانب الاعتقادية تمثل ثباتًا واستمرارًا لبعض هذه العناصرالثقافية، والتي تمثل قوة معيارية لثقافة هذه الجماعات البدوية.

(2) النظافة الشخصية والنظافة العامة

---

(1) انظر إلى الصورة بالملحق.

(2) عبدالباسط الجمل، الجينات والاختلال البيئى البيولوجي، السلسلة العلمية للتقنيات البيئية، مرجع سبق ذكره، ص13

(3) انظر مشاهد من الفيديو أثناء تناول أحشاء الذبيحة نيئة

(4) مقابلة طبيب المعالج بمستشفى الشلاتين

تعتبر من أهم وسائل تحسين البيئة – ولعل عدم الاهتمام بالنظافة العامة والشخصية تعد من وسائل الإضرار بالبيئة، وتعكس ما وصل إليه أبناء المنطقة من تدني الوعي الصحي وانخفاض بل وقصور في مستوى مدركات البيئة، وهي وثيقة الصلة بالصحة العامة، فانتشار الأوبئة والأمراض المتوطنة والمعدية، مرتبطة بانخفاض مستوى النظافة العامة والشخصية والبيئية للسكان. وإذا ما ترك المجال مباحًا للأفراد بإلقاء القمامة في الطرقات، فإن هذا يعقد مشكلة النظافة[1]، وقد كان لذلك تأثير علي الصحة العامة، ووفقًا للبنك الدولي فإن عددًا في جميع محافظات مصر يقدر بسبعة عشر ألف طفل يموتون سنويا نتيجة أمراض الإسهال التي تسبب فيها مياه الشرب متدنية الجودة وغير الكافية؛ والإهمال في النظافة الشخصية ونظافة المنزل؛وعدم كفاية المرافق والممارسات الصحية؛ وعدم وجود سلوك صحى بالنسبة للنظافة الشخصية ونظافة الطعام والمنزل.[2] وتزيد من حدة هذه المشكلات المتصلة بالصحة العامة في المناطق البدوية، وهذا ما يؤكد أوجه القصور في خدمات الصرف الصحي ووجود المخلفات العامة. وكل ذلك يؤدي إلى سلوكيات غير سوية تجاه بيئة المسكن أولًا، وبالطبع تجاه كل مفردات البيئة. كما تلعب السلوكيات التي تختص بتوجيه الأفراد وإرشادهم نحو العمل على نظافتهم الشخصية ونظافة مآكلهم ومشربهم ومسكنهم والشوارع المحيطة بهم دورا آخر لايمكن تجاهلة كمصدر من مصادر التلوث. ويقول الله سبحانه وتعالى (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) ولهذا تعتبر النظافة العامة والنظافة الشخصية من أهم وسائل تحسين البيئة، حيث تشكل عادات النظافة إطارًا مهمًا في الدراسة الأنثروبولوجية.

*** النظافة الشخصية للفرد**

إن سكان مجتمع الدراسة يعيشون في جبال ووديان الشلاتين مما يعني أن هناك علاقة ارتباطية أصيلة بين وفرة الماء والعناية بالجسم وتنظيفة، ويتضح ذلك في مصاعب العيش الذي يضع الأسرة والتوازن النفسي للأفراد محل التكيف الدائم ليمثل مدي المعاناة التي يعاني منها أفراد المجتمع نتجة لتلك الضغوط فعدم وفرة الماء جعلتهم لا يهتمون كثيرًا بغسل بنظافة أجسادهم وأيديهم بعد تناولهم لبعض الأطعمة أو قبل الأكل وبعده أوبعد تنظيف الحظيرة أو بعد الانتهاء من قضاء الحاجة، على الرغم من وجودهم بصفة دائمة في الصحراء حيث تتلوث الأيدي بالأتربة، أو أثناء قضاء حاجاتهم في الخلاء. في حين أنهم لا يهتمون بغسل الأيدي بعد فترات الرعي أو بعد نحر الذبيحة، وذلك لقلة الماء ونقصه، فهذه السلوكيات لا

---

(1) أحمد خالد علام؛ عصمت عاشور احمد؛التلوث والتوازن البيئى؛ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع؛ 1999؛ القاهرة؛ص206.

(2) التقرير القطري المشترك، استراتيجية التعاون القطرية، منظمة الصحة العالمية، الأمم المتحدة، 2005، ص85

تمثل لهم أية أهمية باستثناء قلة قليلة من الفتيات أو الشباب المتعلم الذين احتكوا بالوافدين والذين تأثرو بأساليب التربية الخاصة للوافدين من المحافظات المجاورة التي أحدثت لديهم بعض الوعي بضرورة الاهتمام بنظافة الأيدي بالماء والصابون.ولأن الأنسان يتكيف مع البيئة وظروفها،إستعاضو عن غسل الجسم بالماء لأزالة الأتربة بدهن الجسم لحفظ الجلد في حالة ليونة وعدم تشققةليسد مسام الجلد فيمنع دخول الأتربة وينمع خروج الماء علي كل عرق لذا تقوم البدويات إلى عمل طقس الدخانة، وهو عبارة عن جورة (حفرة) في الأرض داخل مسكن البرش، وإذا كانت المرأة تسكن في بيوت التوطين فيتم حفر حفرة على حجم (مربعين صغيرين) وتوقد في الحفرة أفرع من خشب الطلح وتجلس السيده على كرسي خشب به فتحة صغيرة، ليصعد الدخان المتصاعد من خشب الطلح على جسمها الملفوف بأغطية من صوف لاعتقادهم أن الدخان يساعد على تنظيف الجسم وحمايتة من الأمراض. ونظرالقلة وجود الماء في الشلاتين، اقتصدوا في استعماله كثيرًا؛ خوفًا من الإسراف فيه، فينفد ويهلكون عطشًا، لذلككان من الطبيعي بالنسبة لهم عدم غسل أجسامهم حتى صار عدم الاستحمام بالماء شبه عادة لهم. وقد أدى ذلك إبداع وسيلة للتكيف مع تلك الظروف الإيكولوجية الصعبة؛ والتي تعتبر من اهم مؤشرات التفاعل ذي العائد الملموس علي مستوي البيئة الطبيعية وتجسدت في صورة ممارسات سلوكية تطورت بمرور الزمن واصبحت تلعب دوراُ في رسم قسمات المجتمع الثقافية،والتي تدلل علي أنة لهذة السلوكيات وضعية متميزة في ثقافة المرأة الشلاتينية حيث تعتبر (الدخانة) وسيلة لتنظيف الجسم بدلًا من نظافة الجسم بالماء والصابون؛ وهنا نلاحظ مدى الاثر الذي تركتة البيئة والبصمات التي رسمتها وشكلت بها قسمات الواقع الاجتماعي والثقافي للمنطقة ولهذا نجد أن المرأة تتزين بالروائح، وتظل هكذا إلي أن تزول وتختفي الرائحة الذكية من جسم المرأة بعد فترة طويلة، مما يسهل تعلق الميكروبات بالجسم وعدم إزالتها، وقد يسبب العديد من الأمراض الجلدية والصدرية التي تكثر شيوعها بين النساء.

ونساء البشارية والعبابدة يطلبن الجمال ويحافظن عليه مهما كلفهن ذلك، ولا شئ أدل على ذلك من هذه الطقوس التي يصفها الشعراء بأنها حريق تجلس فوقه المرأة، وأسفله نار تحرق المرأة، وأعلاه دخان يخنق وأوسطه غملة أو شملة صغيرة لا تناسب الجسم لذلك يُشبهة الشعراء في أقوالهم (" حتى لو مشى الذر(1) عليه كاد يدميه")، والبعض الأخر من الرواة يسمونة (الغملة)، وغمل الرطب وهو الموز حتى يستويا وينضج، واما الشملة وهي ذلك النسيج من شعر الاغنام التي تتسم بالخشونة، وفي أقوالهم " الدخان اذا برد حلا وجلا " (حلا) يعني حلاوته المعروفة لان له ريحا طيبة بعد خمرة الجسم أما (جلا) ويعنى الدخان الذي

(1) الذر: صغار النمل.

يكسب الجسم حمرة. وتعتمد طقس الدخانة علي حفرة الدخان وهي من أهم أداة الزينة لنساء الشلاتين لذلك تجدها في كل بيت في الشلاتين وتوضع فيها أخشاب الطلح، والُكليت، والهبيل وهي نوع من أنواع الاخشاب التي تستخدم للدخان وبداخلها "القدح" ويصنع من الخشب لصناعة الدلكه بوضعها داخله ثم يوضع مقلوبًا فوق حفرة الدخان المملوء بالطلح المحترق حتى تتشبع الدلكه بالعطور الصادره من الحريق، وتجلس المرأة فوق الحفرة التي تغطي بما يسمي (نطع) وهو برش مثقوب في الوسط يوضع فوق حفرة الدخان وتجلس عليه المرأة أثناء عملية الدخان ليصعد الدخان المتصاعد من خشب الطلح على جسمها الملفوف بأغطية من صوف أو شملة ثقيلة من الشعر، لا يبدو إلا رأسها لاعتقادهم أن الدخان يساعد على تنظيف الجسم وحمايته من الأمراض.

وتؤكد الباحثة أن حفرة الدخان كانت ومازالت من الظواهر التي لا تكاد تخطئها العين في كل بيت في الشلاتين. كما تحافظ المرأة البدوية علي أداء طقس الدخان في بيوت التوطين حيث تستخدم (الرحّالة) وهو كرسي من الخشب يستخدم بديلا عن حفرة الدخان أما بيوت البرش والصندقة الخشبية ويتم وضع بساط من خوص أو سعف أشبه بالتبروقه أو المصلاية المستديره، مثقوب في منتصفة، يبسط فوق حفرة الدخان فيقابل ثقبة فوهة الحفرة ولهذا تجد في كما يقولون في أمثالهم (لا لوبنا ولا تمر غيرنا) ويعني أن نار عاداتنا ولاتمر غيرنا، وتذكر الباحثة أن إحدى الإخباريات ذكرت لنا مثل شعبى يدلل علي كثرة استخدامه ولهذا تنصح السيدات الكبار لما يعقبه طقس الدخانة من مرض نتيجة الجلوس في الهواء الساخن لمدة طويلة (داكى الليلة ولدى دا هنيتنيه كُسَّح[1] كُسَّح إتبرد عُقباتِن وِرِد[2] ويعني أن كل ساعة تستحم بالدخان سببًا لإصابة بمرض الملاريا ووجدت الباحثة أن لهذا المثل قصة سردتها الأخبارية أن أحدي النساء مرضت بالملاريا لسبب أخر غير الدخان إلا أن أعتقاد الجدة بأن سبب هذا المرض هو الدخانة .

(3) العادات الاجتماعية وعلاقتها بالصحة والمرض

إن الفكر الإنساني الذي يسود جماعة من الجماعات قد يتشابه أو يختلف عن الفكر الذي يسود جماعة أخرى، هذا الفكر الإنساني هو الذي يشكل أنماط السلوك ويطبعها بطابع معين. فسلوك الجماعة تجاه ظواهر الحياة المختلفة كالموت والزواج والميلاد لابد وأن تتم من خلال ممارسات تتبناها الجماعة وتتوارثها، وهذه الممارسات تأخذ أشكالا عديده، فالعادة والتقليد، والتحية والملبس جميعها أنماط من السلوك أما بالنسبة للعادات الاجتماعية والمعتقدات التي

(1) كُسَّح كُسَّح: أى كل ساعة.

(2) الوِردة: الملاريا.

تظهر في مجتمع الدراسة نتيجة الجهل بالعبادات والواجبات الشرعية وغياب الفهم الصحيح للإسلام تمنع النظافة للجسم والاستحمام طيلة أربعين يومًا وذلك كما أخبرتنا العديد من الإخباريات عن عدم استحمام العروس أثناء الاحتفال بطقوس الزواج أربعين يومًا حيث تذهب العروس ليلًا إلى مسكن الزوجية وترحل إلى بيت والدتها الذى يقام بالقرب منها قبل طلوع الشمس، وهنا تذكرإحدي الإخباريات. إنه من الضرورى عدم استحمام العروس وإلا تعرضت العروس للقضاء العرفي، وذلك خوفًا من مشاهرة العروس وأذى الأرواح الشريرة، وذلك لاعتقادهم بعدم السماح للعروس من أن يراها إله الشمس، فهي قواعد تتوارثها الأجيال. لذلك يرمزون للشهر القمري وخاصة يوم الثلاثاء والأربعاء الأخير من الشهر القمري إلي الامتناع عن تضفير شعرهن أو استخدام الحناء كمظهر لزينتهن وهي إشارة للامتناع عن الجنس حتي يشتد وضوح القمر.

وقد كانت لهذه العادات الاجتماعية مواقف طريفة منها أن أحد الشباب في منطقة الدراسة وهو متزوج منذ شهرين، وما زالت آثار الضريرة[1] لم تختف بعد حين سأله أصدقاؤه عن الاستحمام "قال: (أفو يا جماعة عايزيني أتغسل من حلالي) " هذا وقد تلعب الحكايات دورًا في تدعيم تلك العادات السالبة حيث يحكي أحد الأخبارين عن موقف آخر " أن هناك رجل بعد أن جامع زوجته فقام واغتسل وتطهر، فأحست زوجته بتغير ولم تسكت الزوجة، ولكنها انتظرت إلي الصباح وذهبت إلي بيت أبيها وأخبرتة بما حدث وقالت له أنه يأنف مني فاغتسل؛ فأرسل اليه أبو الزوجة وقال له ما الذي حدث منك واتهمة أنه يأنف من ابنته؛ فما من الزوج إلا وأخبره أنه حضر جلسة للتوعية الدينية لشيخ من دعاة الأزهر يحضر للشلاتين كل خمسة عشر يومًا، وفيها درس لأهمية الطهارة. وحينها وجد أبو البنت أن ابنته ليس لديها علم وتوعية مثلما تعلم هو من الشيخ لذا فأحاله إلى مجلس عرفي وبعدها حكم عليه بمبلغ من المال أو أن يعطيها جملًا عقاب له ". وهنا نجد أن عقاب الرجل كان تعبيرًا لقوة إلزام العادات والتقاليد وسطوتها في مجتمع الدراسة.

كما تلعب دورة حياة الفرد جزءًا من هذه الأنماط الثقافية السالبة، حيث تجد الباحثة أن سلوك النساء المتمثل في المشى حفاة الأقدام حينما يسمعن خبر إعلان الوفاة بواسطة المناداة من على قمم الجبال بين العزب والقرى، حيث يتناقله الأفراد من عزبة إلى أخرى، تجهز النسوة قدحًا كبيرًا من نبات القرع كبير وتطرق النسوة عليه وينتحبن وينثرن التراب على رؤوسهن ويعددن إيجابيات ومكانة المتوفي، ويضعون العيش والفحم رمزًا إلى الخير وهذا اعتقاد وثنى لا محالة، كثيرا ما نشاهده عند بعض زوار المقابر وخاصة مقابر الأولياء فى الشلاتين فيضعون بعض الخبز فوق القبر، وبالمقارنة بين عادات الفراعنة وعادات العبابدة والبشارية

(1).الضريرة: خليط من الطيب اساسها المحلب وبعض العطور اللينة واليابسة تضع علي رأس العريس

حيث أنهم كانوا يضعون الطعام والذهب داخل قبر الميت اعتقادا منهم بأن الميت سيبعث في قبره، وتلبس قريباته ملابسه وتسمي "هبل ". وتستمر المراسم ثلاثة أيام حيث ترقص قريبات المتوفى بالسيوف وهن يرتدين ملابسه، وتسمي " مِستهْ " وإذا كان المتوفي شخصًا له أهمية خاصة، تضاف النقارة للمراسم، وفي المأتم يقدم الطعام أولًا ثم بعده القهوة. ولا تبارح الأرملة بيتها، فترة العدة الثقافية التي تعبر عن خصوصية موروثهم الثقافي فهي لاتعتبر عدة شرعية لأنها تخالف ماشرعة اللة في كتابة العزيز، و قد ترتدي الارملة ثوبًا أبيضًا وحذاءً قديمًا ولا تتطيب ولا تستحم إلا بعد الأربعين، ويحلق بعضهن شعورهن والبعض الاخر يصففن شعورهن في ضفائر غليظة وتسمي" كيدوب"

ومن عاداتهم ألا يبكوا ولا يفرشون على من مات مقتولًا، حتى يقتل قاتله. لذلك يعطي لنا هذا المثل صورة للعادات الخاصة بحزن المرأة علي زوجها " أهل البكاء يقصوا، والصعاليك يدقلمو" والصعاليك هم الأصدقاء الأكثر حزنًا والأقارب. كما نجد من ضمن عاداتهم يهدمون بيت المتوفى ويعيدون بنائه بعد الأربعين وبعد قلب بروشه، وتمنع من الحركة والكلام بصفة قاطعة حتى الغروب، وأثناء المأتم، تقوم النساء بالنحيب والعويل، ويهلن التراب على رؤوسهن، كما يرتدين الخيش. وترقص بعض النساء بالسيوف وهن يرتدين ملابس المتوفي على إيقاع طبول النساء. وينشدن أنا معك حتى الموت (قوكان ليكو)، وأنا خرجت من أهليمعني (عديّ فقركو) وللصغير ينشدن (قطعت أحشائي) بمعنيأنبحي قاكن كو) ويرثين المتوفي في عبارات للرثاء وسمي برثاء الميرف[1] ماك متيق[2] وماك دفيق[3] يا تبر البرارالحروكان سنيق[4] وكان لويبانت البتقضى كل غرض) وللنساء باعٌ طويل في شعر الرثاء وأغلبه للأبناء والأباء والأزواج ومنهن من مات زوجها مريضًا فيتم رثاؤه بهذه الكلمات " ما دايرا لك المِيتة أم رمادًا شحّدايراك يوم لُقاء.. بدميك تتوشّح** الميت مسولب.. ** والعجاج يَكتحّ ** أحيًّا علي.. سيفو البسوّيالتحّ " ومعناها لا أتمنى لك الميتةالتي يذر فيها الرماد عليك (أريدك يوم لقاء العدو أن يكون دمك وشاحًا، وأن يكون الموتى تحت يديك مسلوبين خاضعين لك وغبار المعركة (العجاج) يكتح وجوههم")، وتخرج الجنازة من الباب الخلفي، وتتبعها النساء النادبات من بعيد. ويذهبون بالمرأة التي يموت عنها زوجها أيضًا إلى البحر بعد أن تتم فترة " العدة " لدفع الشر ولا يجوز أن يقابلها في طريقها للبحر رجل، وذلك

---

(1) الميرف: هى الابرة الكبيرة التى تجمع الضفيرة فى صناعة البروش.

(2) المتيق: هو العيش الذى ينشف قبل أن ينضج.

(3) الدفيق: هو التمر السيىء.

(4) السنيق هو ضم الحبال.

لأن الاعتقاد السائد أن هذا الرجل سوف يموت سريعًا ولذا فان مجموعة النسوة اللاتي يصحبن زوجة الميت يلوحن من بعيد إلى أي شيخ يعتقد أنه رجل لينجو بنفسه. ولترسيخ هذه العادة فإن الرجل لا يملك غير أن يهرب عدوًا.

وقد تمتد فترة الحداد إلى أربع سنوات وأربعة شهور وأربعة أسابيع وأربعة أيام،إلي عام يمشي فيها بعضهن حفاة الأقدام، كما يؤجلن أي زواج لعام كامل. ويقوم بعضهن بزيارة القبور وتوزيع الصدقات؛ فهذه العادات والتقاليد التي تفرض على الأرملة قد لا ترتبط بالشريعة الإسلامية، فهذه السلوكيات الخاطئة قد تكون سببًا لوجود بعض الأمراض - نتيجة لعدم وصول الماء للجسم ونظافته - التي تصاب بها المرأة، فإن عادة السير بأقدام حافية في بيئة صحراوية ودرجات حرارة عالية قد يسهم في ظهور بعض الأمراض الجلدية.

كما ساهم نظام تعدد الزوجات الذي يتسم به مجتمع الدراسة، والتي عززته العزلة الإيكولوجية والثقافية لجماعات الدراسة في صياغة ثقافة مفهوم الذكورة والأنوثة كمفاهيم عامة، وفي تفضيل الزواج القرابي والذي كان سببًا لكثير من الأمراض الوراثية. فهذه العادات نجد فيها ما يتعارض مع المعطيات الصحية.

كما أشارت الدراسة إلى وجود بعض الموروثات السلبية، والتي تتجلي صورها في العادات والسلوكيات لمجتمع الدراسة. مثل المشي حفاة القدمين بالقرب من بيوتهم مما يعرض الأطفال للدغات العقارب السامة؛ ولهذا لا تجد طفلًا من أطفال الشلاتين إلا وجدته يعلق في رقبتة "حجاب" ويتكون من مادة خشبية قوية مكسية بالجلد وفي داخل الجلد مادة مُطهرة وذات رائحة ذكية، وتحوي من الداخل نبات النقيعوالمحلب. والغرض منه حماية الطفل من لدغات العقارب.

وعلي الرغم من ارتداؤه أطفال الشلاتين إلا أن أمهات تلك الأطفال يستنجدن بطبيب المستشفي لتعدد إصابة أطفالهن بلدغات العقارب والطريشة، كما كان من الطبيعي إرجاع هذه السلوكيات إلي القوى الخفية لتبحث عن العلاج بنفس الطريقة لذلك ارتدى الكبار والصغار التمائم والأحجبة فقد يرتدي الطفل في يده، أو قدميه عقد من الودع ليحافظ علي الطفل من الأرواح الشريرة ومن مخاطر الصحراء وذلك لاعتقادهم أن الودع يهب الحياة وقد يحاكي الطفل والديه في بعض السلوكيات الخاطئة وعليه فقد لعبت العادات والتقاليد دورًا هامًا في أن يقلد الصغار الكبار في عادة المشي حفاة القدمين، وقضاء الحاجة في الخلاء وتسمي (سَاتِيِدْأسْء) وكانوا إذا أرادوا أن يتبولوا ابتعدوا عن أصحابهم بعض الشيء ثمبالوا وكانوا إذا ذهبوا في سفرهم للحاجة انطلقوا إلى موضع يتوارون فيه عن ذويهم. ليقضوا حاجتهم به، وقد تؤكد بعض عناصر التراث الشعبي هذه الممارسات السلبية فيروي لي أحد الإخباريين قصة تهدف إلي مغزى يدل علي ستر العورة وتحكي القصة " أنه تقدم شاب إلي ابنة عمه وشاب آخر ابن

خالها وهما الاثنين علي قدر كبير من الأخلاق والصفات الحميده ومكث عدة أيام في ضيافة والد الفتاة ليقارن بينهما وهو في حيرة شديده واستقر رأيه علي اختيار أحدهما وكان الفيصل في ذلك هو من مشي أكثر من الثاني عند قضاء حاجته ليستر نفسه جيدًا هو الذي يستطيع أن يستر ابنته لذا كان محور الأختيار يدور في بُعد واحد وهو تعليم الأطفال علي قطع مسافة كبيرة لقضاء حاجته، ومن هنا ندرك أن المشي وهم حفاة الأقدام شيء اعتاد عليه الكبار والصغار وخاصة فيما بين الأبراش، فطبيعة الارض الرملية الجافة تساعدهم علي السير حفاة الاقدام معظم الوقت لذلك لا تلقي الأم للطفل تعليماتها بلبس الحذاء (الشبط) ويسمى بالرطانة "كي دأت" kydaat فحتى يومنا هذا ونحن في الالفية الثالثة مازال ينتعل في قدميه ذلك الحذاء الذي يعتقد انة يساعد في تقوية البصر كما يحمي من الثعابين والحيوانات، وهو يتلاءم مع طبيعة المنطقة، وهو حذاء من نمط قديم يتكون من الحبال ويصنع من جلد الجمال، وبه ثقب من الأمام، وثقبان من الخلف يتم إدخال جلد الماعز من الثقب الأمامى ويوجد به مكان للإصبع ينتهى بخرز عريض نوعًا ما على وجه الحذاء، ويخرج من جلد الثقبين الخلفيين. وهو يشبه الحذاء الفرعوني في شكل سيور جلدية متعارضة، ويصنع من جلود الحيوانات، وقدإعتاد الكبار ممارسة المشي وهم حفاة، كما إعتاد عليه الصغار.

أما في عادة قضاء الحاجة في الخلاء، نجد أن الأم تعامل الطفل في مرحلة الميلاد والطفولة المبكرة على أنه مازال صغيرا وغير مدرك، وهذه المرحلة من الطفولة لا يعتنون فيها بتدريب الطفل على الإخراج في الخلاء والمكان المخصص لذلك فيتبول بداخل المسكن أو بين الأبراش، ولا عيب في ذلك، وفي سن السادسة تتسم هذه الفترة بإرشاد الطفل بالتبول في الخلاء حيث المكان المخصص للنساء أو الرجال. فهي أشياء عادية لا يتحرجون منها فعدم وعي الأم بهذه السلوكيات الخاطئة التي تضر البيئة والصحة، لا حرج منها.

فالشواهد الميدانية تؤكد أن فترة التدريب للأطفال على الإخراج لا تطول، فالأطفال يحاكون الكبار ويقلدونهم فيسلكون نفس السلوكيات ويتبولون ويتبرزون في الخلاء وتحت أبصارهم دون الاهتمام بالنظافة، وعلي الرغم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء؛ وفي الظل؛ وفي طريق الناس) وما يهمنا في المقام الأول هو النهى عن التبرز في الظل وفى ماء البحر منعا للأمراض.(1)

ولا يختلف الرجال عن النساء كثيرًا في سلوكيات النظافة الشخصية، فالبدوي لا يهتم بغسيل يديه، حيث يعتقد أن تلك الأشياء طبيعية مادام يتم مسحها بقطعة قماش أو تناول حفنة من الرمال ليمسح يديه ويمحي العالق بها، وخاصة عند التبول أو التبرز أو عند نحر الذبائح

(1) محمد عبدالقادر الفقي؛ البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، مرجع سبق ذكره، ص 69.

وإزالة الدماء من يديه. فتلك السلوكيات الخاطئة كانت سببا في مرض الإنسان وتلوث بيئته. كما نجد أن المرأة لا تقوم بتغيير ملابسها بعد تنظيف حظائر الماشية أو الدواجن، حيث تتعلق بها كثير من الميكروبات كما لا تهتم بغسل اليدين علي الرغم من أن من أساسيات النظافة الشخصية ارتداء ملابس نظيفة، مع الحرص على تغيير هذه الملابس بانتظام منعا للانتقال الميكروبي، فالنظافة الشخصية لا تقل عن النظافة العامة لمقاومة المسببات الميكروبية المرئية وغير المرغوب فيها، والتي تشمل الحرص على الاغتسال مع الحرص على وصول الماء لكل أعضاء الجسم وعدم استعمال أدوات النظافة يكون ذلك سببًا مباشرًا للإصابة بالأمراض. وعليه فإن تطبيق ما أمرنا الله به من آداب وسلوكيات في كل نواحي الحياة اليومية وفي ضوء الشريعة الإسلامية، في يقظتنا ونومنا، وفي طعامنا وشرابنا، وفي صحتنا ومرضنا، وفي حركاتنا وسكناتنا، وفي المسكن والمتجر، وفي الطهارة والاغتسال، وحتى قضاء الحاجة، كما وضعت له السنة المطهرة آدابًا عديده تحمي الإنسان من نفسه، وتحفظ له صحته، وتصون البيئة من التلوث. ولو أن أي مجتمع بشري رأى هذه الآداب، وما يرتبط بها من عقيده صحيحة وقواعد دينية، وتعامل معها في ضوء القاعدة الشرعية لما وجدنا بيئة ملوثة، وكذلك الأمراض الناتجة عن التلوث والمخالفة للشريعة والتي تصيب الإنسان من غير عمد فُيلقى الجميع بأنفسهم وبأيديهم إلى التهلكة(1).

*** النظافة العامة للبيئة (نظافة المكان)**

فقد أوصت الشريعة الإسلامية بالعديد من الآداب والسلوكيات، ومن ضمن تعاليم الشريعة الإسلامية تلك العناصر:

المكان ونظافته وطهارته، وأحكام الشريعة الإسلامية التي تنظمه.

الماء والحرص على نظافته في ضوء الشريعة.

قضاء الحاجة وآدابها، ونظافة الهواء والحفاظ عليه، وعلى هذا يكون سلوك المسلم منسجمًا مع شرع الله، محافظًا على البيئة وداعيًا إلى الحفاظ عليها.

ولكننا نجد في واقع الأمر كما كشفت الدراسة الميدانية أن افتقار البدو للبيئة النظيفة والتربة النظيفة والمسكن النظيف جعلتهم عرضة لإصابتهم بالعديد من الأمراض، والدليل على ذلك وبالتحليل وصف لنوعية المساكن بالمنطقة، أن هناك علاقة التلازم الموجودة بين مسكن

(1) علي محمد المكاوي، البيئة والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص272.

البرش والمكتسبات الثقافية، فهذا المسكن يعتبرإطارا لصنع التاريخ وحفظ الموروث الثقافي والتعبير عن الهوية.

لذلك كانت صياغتنا للمسكن تعبيرًا عن الظروف الطبيعية والاجتماعية التي تؤدي إلي انعكاس للتنظيم الاجتماعي والعائلي للأسرة والقبيلة فهو يحمل ثقافة خاصة تتميز بالتفرد والخصوصية من خلال مقومات فيزيقية وأطر زمنية ومكانية. وعلية فان معطيات الطبيعة من حيث الحرارة ومعدلاتها والبرودة والمطر والتضاريس وماتتركة من تشكيلات تبدو واضحة من القسمات المميزة لمنطقة الشلاتين ويلعبون دوراُ أساسيا وملموسا ومباشرا في تحديد نوعية الحياة وفي صياغة الهيكل البنائي للمسكن والذي يعكس تفاعلة الايجابي مع بيئتة بشقيهافتراكمت خبرات الإنسان والتي ابرزت جوانب تميزة وتفردة وقدرتة علي احداث تواؤم بين قدرتة الفكرية والمادية وواقعة البيئي، فهو جزء هام من التاريخ وإطارًا لحفظ الموروث الثقافي لذا فهو يعتبر رافدًا من روافد الثقافة القومية التي تصهر هذه الثقافة المحلية في كيان قومي يعمق الولاء ويرسخ الانتماء لدى الأهالي الحاملين لهذه الثقافة المحلية التي تكيفوا تكيفا انطباعيا مع العزلة الشديده والجفاف الشديد ليصنع ثقافته المادية من عناصر البيئة المحلية الذي يتم توظيفها توظيفا جماليًا وفنيًا لملاءمته مع البيئة المحلية المحيطة به من التنقل والترحال وبساطة العيش طبقًا لأسلوب الحياه التي فرضتها عليه طبيعة المنطقة من التنقل والترحال وسهولة الفك والتركيب التي تناسب حياته الرعوية وطبيعة النشاط الاقتصادي والظروف المناخية التي فرضت شدة الحرارة وقسوة الطبيعة صيفًا وشتاءًا.

فقد فرضت البيئة ومواردها شكل المسكن البدوي الذي يحمل خبرات وتراكمات التفاعل الحي مع البيئة لذلك نجدهم يشكلون مساكنهم من أشجار الدوم وجذور شجر الأكاسيا القابلة للطي ليتم نسيج الضفائر لتثبيت البرش علي الشعب بالخياطة مستخدمين الخلة المصنوعة من فروع الأشجار ليربط البرش بالأخر مما يجعل البرش متماسكا يمنع تساقط الأمطار داخل مسكن السعف، أو الخشب، أو شرائح الصفيح فإنها صغيرة الحجم لا تتسم بالاتساع كما أنها لا تمنع تسرب الحشرات الزاحفة وهذه النوعية من المساكن تمنع دخول أشعة الشمس، وعادة ما نجدها غير جيده التهوية.

كما تفتقر هذه المساكن إلى الصرف الصحي وإمدادات المياه النقية والكهرباء ولذلك كانت أرضًا خصبة للعديد من الأمراض والأوبئة. كما أنه لا يمثل وحدة أمان ومأوى مما يجعلهم دائمًا في حالة إحساس بالخطر يجوب فيما حولهم من مخاطر البيئة وحيواناتها؛ ومخاطر الأمطار والسيول أو حيوانات أو حشرات تؤذي ساكني تلك الأبراش من أبنائهم أو حيواناتهم المنزلية ففي هذا السياق يذكر جمال حمدان أن التهديدات والمخاطر الإيكولوجية كثيرة بهذا

الطراز المعماري للمساكن الخشبية أو المساكن المصنوعة من الأخشاب وأفرعه.[1] ولعل من أهم المخاطر الحرائق وما تسببه من أضرار على المنطقة بأكملها نتيجة استخدام حطب الوقود للطهي أمام الأبراش[2]. فالمدركات الفردية للبيئة تعتمد بوضوح على المكان الذى يعيش فيه الناس وعلى ظروفهم الاقتصادية وخلفياتهم الثقافية والدينية فالبدو في الصحراء يفسرون البيئة في ضوء وجهات نظر مختلفة وذلك لأن الأرض تجري صياغتها من خلال سلوك البشر.[3]

وعليه فقد صاغ بدو الشلاتين تفسيراتهم من منطلق رؤيتهم الخاصة والتي تؤكد أن المسكن ملجأ ومأمنًا ضد الأمطار والحرارة ومأوي أساسي للعيش فالواقع المعاش في منطقة الدراسة يري عكس ذلك فالمسكن البدوي بأختلاف أشكاله لا يمثل ملجأ أو مأمنا من كافة المخاطر، فغوائل البرد الشديد والرياح الشديده التي تنتاب المنطقة جعلتة لا يضع في الحسبان تلك الغوائل والمخاطر، هذا بالإضافة إلي أن تصميم مساكنهم تعتمد علي تصميم مكان لتربية الإبل خلف المسكن، وبالجانب الآخر حظيرة لتربية الدواجن تحاط بأسيجة من أفرع الأخشاب وهنا يظهر ارتباط البدوي بحيواناته من الإبل وهي سمة تميز أبناء العبابدة والبشارية فوجود حظائر الإبل والدواجن في أماكن الإعاشة مع الإنسان يعتبر نوعا من التلوث العضوي للأطعمة حيث تصبح الأطعمة وسيلة لنقل الميكروبات المرضية للإنسان إذا ما كانت قريبة وملتصقة بحيوانات ملوثة، أو مريضة والتي تنتقل من خلال التعامل مع الحيوان في تنظيفه، أو أثناء حلب الإبل فهو من اختصاص الرجال، وذلك لأن بدو البشارية يعتبرون أن المرأة مخلوق غير طاهر، فلا تستطيع المرأة حلب النياق. وهو ما يسمونه (سِمِلايْتْ) أو (لِقُوقْ) وهو عبارة عن أن الرجل عندما يحلب اللبن فإنه لا يشرب منه أبدًا إلا بعد أن يرشف منه، رجل آخر ويسمي عليه قائلا "بسم الله". فإذا فعل دون ذلك فإنه يوصم، ويسمونه (أودَنابْ). وفي ضوء السياق المحيط بأهالي الشلاتين وملازمتهم للحيوانات في اللعب والمبيت، يصبحون فريسة للمرض ، الذي تسببه عدم النظافة العامة والشخصية خاصة عند اقتراب

---

(1) سعد عبدالمنعم بركة، المظاهر الثقافية لمثلث حلايب وشلاتين، أعمال ندوة مثلث حلايب ورؤية تنموية متكاملة، جامعة القاهرة، معهد الدراسات الأفريقية، 1997، ص324.

(2) وهو ماحدث في منطقة حجر الأساس بالشلاتين حيث شب حريق هائل بين بيوت البرش الخشبية، ثم امتد للمحال الخشبية المجاورة ولم يستطيع أخماد الحريق نتيجة لعدم وجود سيا رة لأطفاء الحريق بالمنطقة، وطالب الأهالي القوات المسلحة بسرعة التدخل لإخماد الحريق بإرسال طائرة إطفاء من مطار برنيس بمرسي علم .
ة

(3) Holdgate, Martin; "Changes in Perception,, in sustaining Earth Response to The Environmental Threats, Edited by David J. r. Angell & et-al published by Macmillan Academic and professional Ltd ; london,1990 , op. cit. , p. 79..

الإنسان من الحيوان بهذه الصورة جعل البدوي يتعرض لمثل هذا المرض والذي انتقل من الحيوان إلى الإنسان وانتشر بصورة كبيرة. كما تتنامي معدلات التدخين بين أهالي المنطقة، في شكل بيب ويسمى كادوس ويصنعه بنفسه من الخشب ولوحظ أن عادة " مضغ القات (المضغة)" وهي من العادات البدوية الضارة والخاصة بمجتمعات الدراسة والتي يسلكها أبناء المنطقة بصورة كبيرة وهو على شكل أعشاب أو نباتات يضعها البدوى في الفم ليمضغها لفترات طويلة وقد يذكر الشباب من البدو إننا نمارسها هروبا من الواقع الأليم والظروف الاقتصادية الصعبة، ففي دراسات لجنوب أفريقيا وجد أن كثيرًا من البدو يصابون بالالتهاب الرئوي وسرطان الرئة[1]

أما عن إعداد القهوة وتقديمها فهي جزء من التراث الشعبي لذا تعتبر لغة للحياة اليومية لجماعات الدراسة حيث تتجلي أهميتها في طقوس الضيافة بين بدو الشلاتين،

و هنا يتضح لنا مدى تغلغل الطقوسية والرمز في إعداد القهوة (الجبنة). فالفُونتوك هو "الأبريق لعمل القهوة " الذي لا يفتر صوته والنار التي لا تنطفئ علامتان من علامات الكرم البارزة، لكن اللافت للانتباه أن الموقع المتميز الذي يحتله موضوع القهوة في بناء القصيده الشعرية فقد يستخلصون من القهوة معنى إنسانيا ورمزا اجتماعيا. أما الشعر البدوي فإنه وجد في القهوة لغة شعرية جديده استطاع توظيفها لترسيخ بعض القيم الأساسية التي تتطلبها حياة الصحراءفي منطقة الشلاتين حيث يعتاد بدوالمنطقة على تناول القهوة (الجبنة) وبكميات كبيرة، حيث يتراوح معدل تناول الجبنة أو القهوة للفرد الواحد أكثر من عشرة فنجانين في اليوم الواحد، فيعتقدون أنها تقاوم الأمراض وتكسب الجسم مناعة لذلك يعتادون على شربها بكميات كثيرة، حيث نجد أن شرب القهوة يمثل مصدر من مصادرالعشرة والود واستقبال الضيف في البادية. كما أنه شكل من أشكال التماسك الاجتماعي وذلك لضرورتها وأهميتها لديهم فهم لا يدركون أن شرب القهوة يزيد من الأنيميا للجسم، كما أن جرعات كبيرة منها قد تؤدي إلى الأرق والقلق والتوتر أوالصداع لديهم. وتفيد بعض الدراسات التي أجريت على تأثير الكافيين على الصحة أن شرب الكثير من الكافيين (مثلا ستة فناجين أو أكثر في اليوم من القهوة الكثيرة الغلي) قد يسارع من ضربات القلب وقد يرفع من ضغط الدم. كما أن شرب مياه الآبار المحملة بنسب زائدة من الأملاح أدت إلى مزيد من معاناة أهالي المنطقة من مرض ارتفاع ضغط الدم. فقد اتضح أن انتقال القهوة من الحالة المائية خلال تصنيعها لتكثيف المواد الطيارة مما يجعل روح القهوة أو عطرها غنيا بفحوم هيدروجينية مسرطنة[2]. وعلى

(1) Stock, R. Africa South of the Sohara: A Geographical Inter -Preparation, the Guilford Press, New York, 1995, P. 119.

(2) علي محمد المكاوي، البيئة والمجتمع، دراسات في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 226.

الرغم من ذلك نجد مشروب القهوة مشروبًا لا يمكن الاستغناء عنه؛ لدرجة أن الرجال يحملون معهم ادوات عمل القهوة فى كل مكان ويمكن ان يجلس الشخص فى أى مكان وأن يخرج أدواته الخاصة ويصنع القهوة ثم يشربها بمزاج شديد ثم يواصل سيره، وقد بلغ حبهم للقهوة حداَ كبيرا حتى إن للقهوة أغانى خاصة تتغنى فى المناسبات كالأفراح مثلا أو جلسات السمر وهناك بعض الأغاني المحفوظة والمتداولة منذ أزمان بعيدة ومازال الناس يتغنون بها بمصاحبة ألة الطمبور وتتضمن كلمات الأغنية وصف لأنواع الشجر الذي يعد منه الفحم الذي يستخدم فى صنع القهوة أو الجبنة كما يتضمن الوصف كذلك لون الجبنة (القهوة) وصفاؤها وشكل الجَبَنة.

وتفضل جماعات الدراسة أن تتكون جلسات شرب القهوة من شخصين على الأكثر لأن شرابها يبعث الاستمتاع بها ويشترط فيه الهدوء والمزاج الصافي ويمكن أن يقبل فى الجلسة شخص ثالث ولكن على غير رضى أما وجود رابع يعنى تعكير المزاج وفى حالة حضور شخص خامس يجب أن يحمل الشخص أدواته، ويذهب لأن جلسة الجبنة تحتاج إلى هدوء. وللجبنة آداب، فعلى الضيف ألايترك أى بقايا للجبنة أوالقهوة بداخل الفنجان، لأنهم يعتبرون ذلك إهانة لهم مادام لم يقلب الفنجان على وجهه فمعناه أنه يريد المزيد. وعندما لايرغب الأهالي في ضيف عندهم لايقدمون له هذا المشروب تعبيرًا عن اعتراضهم على وجوده. كما يعتقدون أن العدد الفردي في الجبنة يدعو إلى التفاؤل ماعدا العدد واحد.. ويشرب البدوي الجبنة فرادى أي العدد الفردي 1، 3، 5، 7.. فهم لا يقبلون العدد الزوجي، وكلما شرب البدوي أعدادا كثيرة دليل على الكرم وحب الشارب للمضيف لأن صاحبه ليس صابرا وكثيرا لحركة اللف والدوران لأن الجبنة ونستها تدعو إلى الطمأنينة والمودة والسكينة والكرم، فقد عرف بدو الشلاتين بعشقهم للحرية كراهيتهم للاستكبار والإذلال.

كما لوحظ من العادات الاجتماعية الشائعة لدى جماعات بدو البشارية والعبابدة، قد اعتاد شبابهم علي الرقص أثناء احتفالات الزواج، "وهذه الرقصة تعبر عن عادات وتقاليد شديدة التميز والخصوصية.

وتأتي تلك القيمة الطقسية لعادة "البطان ومبدأ تأهيل الصغار ومساعدتهم نحو العبور لمركز المسئولية والرجولة. فقد كانت تمارسها بعض عشائر البشارية قديما ويتمفيها الضرب على البطن والصدر. لتعبر عن ثقافة هذه الجماعات كطقس للعبور، يعبر فية الصبية بعدالثانية عشرمن مرحلةالطفولة لمرحلة الرجولة التي تمتد لعشرة سنوات. خلال هذه الفترة يساهم الشاب اليافع مرتين في العام في طقس ال " سورو" الذي يجتمع عليه شمل عشائر عديدهمن البشارية، بعضهم يقطع مئات الكيلومترات للوصول لمركزالمحفل المهم. وغاية طقس العبور ويسمي " سورو"،إعلاء قيم الشجاعة والصبر على المشاق والمواجهة العنيفة بسبيل حماية

شرفالعشيرة وعزّها، فضلا عن صيانة الروابط الإجتماعية بين بطون وعشائرهؤلاء الرعاة الرّحّل وهميلتقون في مثل هذه المناسباتلوصل الأرحام ويستفيدونمنها فيعقد الزيجات ودعم الأحلاف المادية والمعنوية.

كما تمثل نموذجًا ثقافيًا سالبًا أثناء احتفالات الزواج حين يرقص الشباب (رقصه البيبوب) لإظهار الرجولة وقوة التحمل التي تميزهم عنجنس النساء، مثلما تميزهم عن غيرهممنالذكورالآخرين الأصغر سنا أوالأكبر سنامنهم؛ وهنا تظهر الرمزية لصفة الرجولة في التعبيرالشعبي التقليدي. كما يظهر السوط رمز السلطة عند قبائل الدراسة حيث تقوم السيدات كبار السن بوصف هؤلاء الشباب للفتيات التي لم يقبلن على الزواج؛ حيث تعد تفاخرًا أثناء الضرب في رقصاتهم بالكرباج على أجسامهم بعنف لإثبات مقدرتهم على تحمل الشدائد والصبر فى كل المواقف؛ حيث تعتمد الرقصة علي المهارة في الحركة، والتي تظهر حين يخرج راقصان من الصف كل يمسك كرباجًا ويقفز عاليًا ويضرب قدمه حتى تنزف دمًا ويظل يرقص حتى يصاب بحالة من النزف الشديده مكان الضرب على ساقه حتى يُسلم الكرباج أو السياط لفتى آخر في حلبة الرقص، وتنتقل معه العدوى عن طريق اختلاط الدم عبر السياط من فتى لآخر(1)، مما سهل انتشار الفيروسات الكبدية أو انتقال مرض نقص المناعة أو الإيدز عن طريق الدم، من خلال انتقال الكرباج أو السياط من فرد إلى آخر كما تمثل "عادة التقبيل والتحية التي يمارسها نساء البشارية والعبابدة بصفة دائمة؛ والتي تتسم بخصوصية شديده وتسمى "ثء رهب وتبدأ التحية عندهم بكلمة (سلام أليكم) وبالمصافحة بالأيدي، فقد تصافح المرأة امرأة أخرى باليد اليمنى مع وضع خد كل منهما على خد الأخرى ثلاث مرات، تبدأ بوضع الخد الأيمن على الأيمن ثم الأيسر على الأيسر وأخيرا الأيمن على الأيمن ثم يبدأن فيما يسمونه (دبي دلهيت).

كما تبين شيوع عادة تقبيل أطفالهم "سلامت" وخاصة المولود ويسمونه "هوي فؤت" مما يسهل انتقال كثير من الأمراض لذا فهي تعتبر من السلوكيات السالبة والتي لها تداعياتها الصحية حيث يزداد انتقال العدوى من الفيروسات والميكروبات أثناء التحية عند التصافح. ويعد هذا في نظر الكثيرين الآن من العادات السلبية التي قد تؤدي إلى إصابة الطفل ببعض الأمراض ومنها ما يسمي بمرض "الهايفات".(2)

ولقد كشفت الملاحظة المتكررة عن وجود الشلوخ والتي تدخل ضمن الاحتياجات الأساسية التي يمكن إشباعها أوتحقيقها بطرقهم التقليدية الموروثة والتي تعتبر ضمن الاحتياجات

---

(2) الهايفات: وهو حبيبات تظهر في فم المولود وخاصة في موضع اللثة وتسبب لة حمي وتمنعة من الرضاعة

الجمالية في مجتمع الدراسة والتي تعد نمطًا من أنماط السلوك المتوارثة، فهي تعبيرعن تقاليد وهويه الجماعة القبلية على الرغم من أنها تعد من الممارسات السلوكية السالبة وهى عبارة عن علامات للوجه والتي تعبر عن العلامات المميزة لنوع القبيلة لتقوية أواصر الشعور القبلي بين جماعات الدراسة. حيث يعتبر نوعًا من الأنواع التي يتم بها التحديد القبلي أو الأسري، وهو في غاياته لا يختلف عن الشلوخ للإنسان، فهو ضرب محاكاة عن الوشم في الحيوان. ويمثل قيمة جمالية للإنسان.(1)

ففي مجتمع الشلاتين اتخذتها جماعات الدراسة سمة لهم تميزهم عمن حولهم من الرشايده؛ وترسخ كيانهم وقيمهم الثقافية شكلا وموضوعا، لذا تحرص نساء الشلاتين علي عملية الشّلوخ، وهى عبارة عن ثلاث خطوط أو جروح طوليّة تحدّد خدّي السيده على الجانبين،

فاالبشاريه لهم فنونهم الخاصة التي ترتبط بثقافتهم وتُعد أيضًا مظهرًا من مظاهر التجميل والتزيين فالعوامل الجمالية تختلط بالماضي والعوامل الاجتماعية والمفردات الدالة علي ماهو ذو مدلول رمزي ثقافي، فقد كانت قديما تترقّب الفتاة في وجلٍ وخوفٍ ورعبٍ شديدٍ ذلك اليوم وهي لا تقوى على معارضة أهلها. وبمرور الزمن اكتسبت هذه الشلوخ مفاهيم جديده فصارت النساء تفعلها بقصد الزينة والجمال كما أصبحت ذات دلالات اجتماعية للتفرقة بين الفتاة البكر والمرأة المتزوجة *و لا زالت (الشلوخ) تزين بعض الوجوه لكنها غالبا ما تكون لسيدات تجاوزوا الـخمسين؛ لكن بشكل استثنائي ونادر نجد بعض الشباب من الإناث اللأئي تتراوح أعمارهم ما بين النصف الثاني من العشرينات إلى الاربعينات مشلخين مما يعني أن هذه العادة ظلت موجودة في بعض نواحي الشلاتين إلى وقت قريب.*

وتُعتَبر عملية الشّلوخ عمليةٌ مؤلمةٌ تقوم به في الغالب امرأةٌ عجوز وتسمى (أم شليخة) حيث تستخدم (إبرة) أو (الموس) مع أكثر من سيدة، مما أدى إلي إصابتها بالعديد من الأمراض حيث تنتقل عادات الشلوخ بإستخدام أدوات ملوثة تصل إلى مجرى الدم والتي ترتبط بمرض نقص المناعة (الإيدز).(2) وعلي الرغم من خطورتها وتداعياتها الصحية إلا أنها تنفّذ من غير رحمةٍ، حيث تحمل السيده العجوز الموس الحاد بكلّ اطمئنانٍ وتُخطّط خطوطٍ بِطُول الخدّ، إلى أن يكتفين النساء بالخطوط الطولية الثلاثة، وبعد ذلك يوضع تراب الفحم وتستخدم في صحن الفحم الأسود حتى تجف الدماء، ثم تُغسَل الجروح ويُوسّع كلّ واحدٍ منها ثم يلصق عليه القطران المشبّع بالمحلبية ويزداد الألم، عدّة أسابيع وهي تعاني آلامًا مبرحةً نتيجةً للحمى الشديده وتورّم الخدود. ويكون سرور السيده عظيمًا كلّما كانت الشلوخ عميقةً وعريضةً في

---

(1) عون الشريف، كتابات فولكلورية، مركز محمد عمر البشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان، الأهلية، 2004، ص 199.

(2) عبدالباسط الجمل، الجينات والاختلال البيئي والبيولوجي، مرجع سبق ذكره،؛ص 39.

وجنتيها. بتلك الشارات القبلية علي الرغم ما تحدثه من تشويه لخلقة الخالق – جل صنعه- فقد خلقت نوعًا من الاعتقاد بين عامة الناس بأنها تضفي حسنًا وجمالًا على المرأة، بل تكسب وجهها سحرًا0 ومازالت عملية التشليخ تمثل إبداعا فنيا تقوم بها شلاخات متخصصات يتوسمن في صنعتهن ما يرضي الذوق وما يناسب وجه المرأة العبادية أو البشارية وتظهر أهمية الشلوخ في أشعارهم[1]: وذلك في قول:

القمر بوبا عليك تقيل يا فتيل ما يقوما الأصيل
الشلوخ درب الأصيل والرقيبة تقول قزازة عصير

الزراق فوقه تقول حرير

.

كما وجدت الباحثة إن عملية الفصود شائعة بين سكان المنطقة الجنوبية الواقعة في أقصي جنوب مصر ،.والفصود اصغر من الشلوخ ، والفصاده دائما ما تعمل لعلاج بعض الأمراض و فقا لأراء بعض من الأخباريين والرواة أنة في بعض الأحيان يفصد الطفل حول السرة لعلاج آلام البطن أو يفصد المرضى من البدو في أجزاء من الجسم لإخراج الدم الفاسد ، وكثيرا ما نلاحظ فصدتين عند الأصداغ وهذه تعمل لعلاج بعض أمراض العيون كالرمد مثلا عند الأطفال ولكنها قد تشب مع الطفل خاصة إذا كانت الفصدة عميقة وعريضة ، ولقد يسمى البعض درب الطير أو النقرابى بالفصده وهذه تُعمل على الخدود وغالبا ما تكون لميزه جمالية

.

أما الوشم أو دق الشفة " أوشك " وهو من الممارسات السلوكية التي اعتاد عليها نساء الشلاتين كقيمة جمالية تحرص عليها النساء للتزيين، وهو الدق بالأبرة علي الشفاة عدة مرات ثم يتم وضع الكحل الأسود علي الشفة السفلي فقط، وتغطي بقطعة من القماش وبعدها يجف الكحل والدماء مكونًا شكلًا جماليًا، ولهذا نجد كثيرًا من الرجال يستحسنون الوشم عند نساء الشلاتين, لذلك نجد كثيرا من الرجال تغني للنساء اللاتي يُحسن صنعه ورسمه،

كما نجد أن استخدام الآلات الحادة (الموس) ليس في الختان أو قطع الحبل السرى فقط بل تستخدم هذه الألة الملوثة في حلاقة الأطفال الصغار، وبعدها تبخر السيدة الوالدة بخشب الطلح مع تبخير جنينها حتى تقوي رئته وجسمه على استنشاق البخور[2] فضلا عن البخور والذين يكثرون منهوالذي يتبخر به النساء والاطفال في كثير من العادات الاجتماعية، والذي يدخل

---

(2) ويتم تبخير الأطفال حديثي الولادة مع الوالدات باللبان الدكر وخشب الطلح والصندل والكمون الأسود والشبة لمدة شهر كامل.

ضمن المعتقدات الخاصة بالزواج والميلاد والختان، وفي نمط الحياة اليومية حيث يعتاد النساء إشعال البخور يوميًا في وقت المغرب، إعتقادا منهم بطرد الجن والشيطان من البيت خوفا منهم لمس الجن؛ إلا أن هذه الممارسات قد تضر بصحة الطفل ضررًا بالغًا. وتستخدم في حلاقة العريس أثناء الاحتفالات بطقوس الزواج، وتبدأ مراسم كشف الرأس فى اليوم الثالث الاحتفالات الزواج وتسمي "قْرِمَايْ نُقولْ". ويذهب العريس بأصحابه بعيدًا بعد نزع المنديل الأحمر والسوار والعقد ويوضع الشحم على رأسه ويدهن الرأس بالودك وهو الشحم وخليط من مسحوق من جزوع الشاف والصندل، ويضاف لها المحلبية ومسك وجوزة والضفرة وبعض العطور المخلوطة بالصندل لذا يعتاد الذكور والإناث دهن شعورهم بالودك لترطيب فروة الرأس الذي تتعرض للجفاف .

فإستخدام (موس) واحد لجمع من الشباب أو الأطفال في حلاقة الشعر، يعد سببًا لانتقال الأمراض الجلدية وبعض الفيروسات، كما يحلق شعر البنت بحيث يبقى بعض الشعر في مقدمة الرأس وبعض آخر في المؤخرة على الجانب الأيمن، وقبيل بلوغها يحلق كل شعرها فيما يسمونه أشكُوتْ، ويترك لينمو بعد ذلك. ويمشط الشعر عند البلوغ؛ حيث يطلق على حلاقة شعر الفتاة "شِنْدَاويايتْ". أما الصبي فيحلق له في البداية مثل البنت، وفي سن العاشرة يترك له شعر في أعلى الرأس ويحلق الباقي،وعند بلوغه يتم تمشيط الشعر علي شكل "هنكليت" وهوترك الجزء الأمامي من الرأس ليساعد علي حماية أنفسهم من ضربات الشمس المحرقة التي يتعرضون لها أثناء تجوالهم في الرعي ويحلق كل شعر الصبي قبل البلوغ،..
ومن العادات وخذ الإبرة في أذن المولود هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الأم من ثقب أنف الفتاة لاستخدامها في الزينة في الكبر. فمازالت النساء تحرصن على ثقب الأنف وتسمى تلهفاى(1)،.فكثير من النساء البدويات في مجتمع الدراسة يستخدمن ثقب الأنف للتزيين، وعليه فإن استخدام الإبرة لثقب الأنف يعتبر مثالًا حيًا للعديد من الأمراض، والتي تنقل من سيده للأخرى. وتأسيسًا علي ماسبق تؤكد الدراسة أن سياق بيئة الشلاتين يحمل الكثير من مقومات التلوث والإصابة بالأمراض، وخلاصة القول أن هذه الجماعات تفتقر إلى الدعوة لتصحيح تلك الممارسات السلوكية الخاطئة.

تأثيرات الزواج الداخلي فيما يتعلق بحالات الإجهاض

ويمثل الإجهاض المتكرر وحالات الولادات الميتة جانبين هامين للتأثيرات الصحية لنمط الزواج السائد في المجتمع، وتشكل مثل هذه الحالات عددًا كبيرًا من أبناء المنطقة، وهناك أعداد كبيرة من نساء الشلاتين لا يكتمل حملهن إما نتيجة الإجهاض التلقائي – العفوي

Spantaneaus أو ولادات ميتة Stillbirth والتي كان يعتقد لسنوات عديده أنها ترجع فقط لعوامل تتعلق بسوء التغذية أو ضعف الصحة العامة للنساء الحوامل أو عوامل أخرى وراثية لدى الأم مما قد يؤدى إلى إجهاض الجنين

ولهذا تبرز أدلة متزايده تدعم القول بأن العوامل التى تسبب موت الجنين ربما تكون – غالبًا – موروثه لدى الجنين نفسه، والواقع أن ما يربو على 50% من حالات الإجهاض التلقائية المبكرة ترد إلى اعتلالات (شذوذ) في الكروموسومات. فإن اختلال الأعداد الكروموسومية بالزيادة أو النقص تؤدى إلى فشل في الوصول إلى الولادة، وعادة ما تُجهض الأم في مراحل مبكرة من الحمل.(1) والملاحظ أن حالات الإجهاض التلقائية غير المبين سببها، كانت غالبيتها بين المتزوجات من الأقارب (54 حالة إجهاض) في منطقة الشلاتين ما بين قرى وعزب (حجر الأساس)، وقد تعددت مقولة بين الإخباريين (أن حالات الإجهاض كثيرة ولم نعرف سببها وقد يرجعون أسبابها إلى عدم ممارستهم للمعتقدات الخاصة بسلامة الأم والجنين). وإلي بعض من العادات والتقاليد التي تؤثرعلي صحةالطفل الذي لم يولد بعد، وحالة الأم التي مازالت طفلة ومن هذه العادات " غرز إبرة، وحريرة حمراء "علي شعر الحامل في توقيت معين في فترة الحمل، كذلك عمل مايعرف" بكرامة السبعة " وهي عند اكتمال سبعة شهور من الحمل وتهدف هذه العادة لحماية الحامل من الأرواح الشريرة مما قد يسبب لها الإجهاض فهذه الممارسات من قبيل الرواسب الثقافية وليس ثمة تبرير واضح لهذا السلوك أو تأييدا علميًا، إنما هم يفعلون ذلك لأنها عادات موروثة من الأسلاف والأجداد؛ لذا تؤكد الأمثال الشعبية علي تدعم المعتقدات الشعبية ومنها المثل الشعبي القائل " العاقِل طبيبْنَفْسه " وعلي حد قول الأخبارية أن العاقل يتجنب الأشياء التي تجلب إليه الأمراض أو توقعه في الخطأ، ومن هنا اكتسبت تلك المعتقدات ضرورة اتباعها وإلا أصيبت الأم ومولودها.

وتشير الدراسة الميدانية للبحث الراهن أن هناك كثيرًا من الأمهات فقدن حملهن وتعرضن للإجهاض في مراحله الأولى، فحالات الإجهاض المتكرر تمثل صورة أكثر من طبيعية فتتعرض السيده للإجهاض ليس مرة واحدة بل أكثر من ثلاث مرات. وترى بعض النساء أن تناول المواد الغذائية المجلوبة من خارج بيوتهم والمقصود بها بعض المواد الغذائية التي توزع كمواد تموينية مثل الزيت، حيث تعتقدن أن مثل هذه الأغذية التي لم يألفوها تؤثر سلبًا على صحة المرأة الحامل، وتسهم في إسقاط حملها، أو إنجاب أطفال غير أصحاء أو موتهم

(1) فاتن محمد عبدالغفار شريف، آثر الزواج بين الأقارب على بنية الأسرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، 2004، ص88

في سن مبكرة لذا نجدهم يبعون بعضها للغرباء نظرًا لاعتقادهم بأن مثل هذه الأغذية مسكونة ببعض الأرواح الشريرة التي تؤثر في حملهن وإنجابهن مستقبلًا.

وتتركز أغلبية هؤلاء السيدات من المتزوجات لأقاربهن، وهناك حالات يتم إجهاضها نتيجة إصابة الأم ببعض من الأمراض التي لا دخل للوراثة بها انما كانت نتيجة إصابة الأم بمرض الزهري وهو كثيرًا ما يصيب النساء وبشكل ملحوظ في مجتمع البحث(1) وسيدات أخريات يتم اجهاضهن خارج المستشفى على يد سيدات كبار السن يملكن الخبرة بأعمال الولادة، يرجعن ما يحدث للسيدات من إجهاض متكرر نتيجة عدم اتباعهن للممارسات الاعتقادية ظنًا أن أداء تلك الممارسات سوف يحمي الجنين من الموت؛ فهذة الرواسب الثقافية والتي تتسم بالخرافة إلي حد بعيد التي قد لاتجد لها تأييداعلميا بأي حال من الأحوال ومنها، عدم امتناع المرأة الحامل عن شرب لبن النوق أو أكل لحم الجمال حتى لا يكبر الجنين في بطن الأم ويتعرض الجنين إلى الموت عند الولادة، ومن المعتقدات الشائعة ألا يقتل زوج المرأة الحامل أي حيوان في البرية خوفًا من أن يموت الطفل في رحم الأم.

فالممارسات الشعبية المرتبطة بمنع تكرار موت الأطفال والتي تمكن فعل الحسد من الأطفال الموتى، بحيث يقضي عليهم، ومن هنا وقع الاختيار علي ممارسات بعينها تدرأ الحسد عن المولود الجديد ومنها إعلان مخالفة الجنس، وتشوية الاسم حيث تشير المعلومات الميدانية بأن اختيار بعض الأمهات في منطقة الشلاتين لأسماء أطفالهن، يرتبط بمحاولتهن درء الحسد عن أطفالهن أو لضمان عدم تكرار موتهم، لذا يحرص الأب على تسمية مولوده الجديد بأسماء الأولياء الصالحين وذرياتهم تيمنًا بهم، وإذا توفي للمرأة ولد وولدت بعدة آخر سمي عوض أو صابر أما إذا كانت المولودة أنثي تسمي قسمة أو عوضيه وذلك لصرف الأرواح الشريرة عن الطفل0

وفي هذا الشأن تروي لنا إحدى الإخباريات قصة امرأة من البشارية، كانت ذات خصوبة عالية، إلا أنها أصيبت بموت أطفالها في سن مبكرة. ودرءًا لهذه المصيبة فقد استعانت بعدد من شيوخ الرُقية، والأشراف، لكن لم تحقق غايتها المنشودة. فبعد موت طفلها الخامس وحملها بالسادس لجأت إلى بعض الممارسات الشعبية المرتبطة بمنع تكرار موت الأطفال مثل إعلان مخالفة الجنس والاسم، بالإضافة إلى قيام الأم بأفعال مخالفة لانتمائها القبلي، إذ أنها غيرت مكان ولادتها، وجهزت فراش نفاسها على طريقة مغايرة لعادات البشارية، بحجة أن مثل هذه الإجراءات المخالفة للعرف السائد في المنطقة ستبعد عنها شبح الأرواح الشريرة والعين. وفي هذا الجو المملوء بالتفاؤل وضعت السيده مولودها السادس أنثًى، وعلمًا بأن الأنثى ليست

.

كالذكر في الشلاتين، إلا أنها جعلت كل مراسيم ميلادها مثل مراسيم ميلاد المولود الذكر، حيث احتفلت بميلادها احتفالًا عظيمًا، وذبحت عقيقتها في نهاية الأسبوع الثاني بدلًا عن الأسبوع الأول، واختارت لها أسمًا من قاموس الأسماء البشارية التقليدية. ويبدو أنها فعلت كل ذلك لتأمين حياة مولودها السادس، وتفتح صفحة جديده في مسار حياتها الزوجية والأمومية، بعيدًا عن شبح الأرواح الشريرة والحسد.

كما تذكر نتائج أبحاث برنامج التغذية العالمي في مشروعه عن الحالة الغذائية في محافظات مصر بأن السبب وراء تعرض نساء المبحوثات للإجهاض المتكرر هو سوء التغذية الذي يعانى منه نساء المنطقة وخاصة النساء الحوامل اللاتي يحتجن إلى كمية من الطعام ونوعيته من الغذاء الغني بالفيتامينات والمعادن والتي ظهرت في نتائج تحليلاتهم بنقص الحديد مما أدى إلى ظهورالعديد من الأمراض[1] فأنماطهم الغذائية تبعد عن تكامل العناصر الغذائية في الطعام وتمنعهم من تناول الخضروات والفاكهة والبروتينات؛ فالفقر وتدنى المستوى المعيشي والاقتصادي كان سببًا في حالات فقر الدم والأنيميا، ونقص الوزن لأطفال حديثي الولادة[2].

كما تعبر المبحوثات عن خوف النساء من أصابة أبنائهن ببعض من الأمراض الوراثية حيث تكتسب المرأة مكانتها من انجابها أطفال أصحاء أو أقوياء بلا عاهات أو عيوب خلقية. وإن كان لا يؤثر كثيرًا على استمرار الحياة الزوجية نظرًا لأن الزوج يُبقي على زوجته تحت أي ظروف، ولهذا يعتبرون ولادة الطفل المشوه جسديًا وعقليًا، مصدرًا من مصادر المعايرة، حيث يشير المثل الشعي القائل " الخَفَّ عَقلوُ تِعبْت كِرعيو, العقل هو مناط صلاح الإنسان وإتزانه، ومن هنا نجد هذا المثل يؤكد علي أهمية صحة العقل وبالتالي إذا ضعف أو أصابه خلل فقد السيطرة على حركاته وسكناته. وعليه فإن ولادة الطفل به عيوب خلقية أو عقلية نتيجة عدم ممارسة الأم لكثير من الاعتقادات وهذه المعتقدات ذات تأثير سلبى على صحة المولود. لذلك يجب على الأم الحفاظ على تلك المعتقدات لأنها علي حد قولهم " الصحة موية البركة " فالالتزام بهذه المعتقدات من وجهة نظرهم هي الصحة الكاملة لذلك يعتقدون بضرورة ربط الحبة السوداء في الشهر التاسع كتعويذة ضد الحسد، ولا تخرج الحامل من البيت ولا تقابل أهل زوجها وإذا رأت والدته تغطت منها كما أنه من المسموح لها أن ترتدى كل الألوان ماعدا اللونين الأبيض والأسود، ومن المعتقدات التي تحرص عليها الحامل إذا تم ذبح ذبيحة في القرية يرسل منها جزء للحامل للاعتقاد بان هذا يجنب سقوط الجنين قبل موعد ولادته وتعرض الأم للإجهاض فعلى المرأة الحامل أن تحافظ على نفسها من شر طائر (البوم) الذي

(1) تقرير برنامج الغذاء العالمي، المعهد القومي للتغذية، التقييم الغذائي للمستفيدين من برنامج الأغذية العالمي في البرنامج القطري، 2005.

(2) علي محمد المكاوي دراسات في الأنثروبولوجيا الطبية، مرجع سبق ذكره، ص 62.

يحاول التحليق عمدًا فوق رأس المرأة الحامل ليسبب إسقاط الجنين كما تحافظ المرأة علي نفسها بأن تضع معدنا (إبرة أو دبوس) في شعر رأسها ليكون حاجبًا بينها وبين هذا الطائر المشئوم ولهذا الحقد الذي يكنه البوم نحو المرأة الحامل ويحكى احدي الإخباريين أن البوم كان في الأصل بنتا ولم يتقدم أي شاب ليتزوجها حتى كبرت وفي ذات مرة وهي في حزنها من عدم تقدم الخُطاب نحوها ضربتها أمها، وفي الحال انقلبت الى طائر (البوم) الذي نراه اليوم ومنذ ذلك الوقت يكره البوم عنصر الرجال لأنهم لم يتزوجوها ولذلك فإن طائر البوم يسبب إسقاط الجنين من الأرحام حتى لا يرزق أحد بغلام.

كما أن خروج الأم قبل الولادة بأربعين يومًا إلى زيارة أماكن محببة لها كزيارة زرايب الجمال؛ يحمي طفلها من التشوه أو الوفاة أو إصابتة بمرض عقلي أو ذهني. كما يعتقدون أن ارتداء الأم الفضة أثناء حملها تقى الطفل من الجنون أو التخلف العقلي، ولهذا يعتقدون أن تعرض الطفل للقمر يؤثر على الأطفال تأثيرًا سيئًا أثناء الرضاعة وخاصة بعد ولادته، إلى درجة الضعف العام أو وفاته.[1]

--تأثير الزواج الداخلي على وفيات الأطفال ما قبل الخامسة

تشير الشواهد الميدانية إلي ارتفاع معدلات الوفيات لأطفال جماعات الدراسة بسبب أن أولئك الأفراد الذين يرثون الضعف وبخاصة الرضع منهم أكثر عرضة للعوامل المرضية هم ضعاف المقاومة نسبيًا[2].

وعلي الرغم من أن الدراسة الراهنة لا تقّيم مباشرة الجوانب الطبية لزواج الأقارب أو الإنسال الداخلى، إلا أنه من الملاحظ أن جانبًا كبيرًا من الأبحاث المهتمة بهذه الجوانب تشير إلى تلك التأثيرات الواضحة التى يمكن إرجاعها إلى نقص عام اللياقة الصحية والضعف الحادث بسبب زيادة الحمل الجينى والذى مرده التماثل الزيجوتى، إلا أنه لا يمكن عزل أثر بقية العوامل الأخرى البيئية والاجتماعية والاقتصادية حينما نتحرى دور الزواج الداخلي في وفيات الأطفال دون سن الخامسة. ولهذا تتفق دراستنا مع العديد من الدراسات التي تُشير إلى وجود علاقة ارتباط قوية بين الزواج الداخلي ووفيات الأطفال.

فالملاحظ أن وفاة الأطفال تتركز في مرحلة الرضاعة وتسمي " أنطيهالديد ". حتى عمر سنتين أو أقل من خمس سنوات. ومما سبق يتضح أنه ربما يرجع ذلك إلى أن الأطفال في مرحلة الرضاعة إنما يقعون فريسة لتأثيرات التشوهات العقلية والأمراض الوراثية بالإضافة

---

(2) Http://iplagy. shuhfient-so-2010jazioprt3htm

إلي عبء الأمراض المعدية والظروف البيئية وسوء التغذية وضعف مقاومتهم للأمراض، كلها عوامل تزيد من احتمالات وفاتهم في هذه المرحلة، إلا أن أهالى الأسر لا يرجعونها إلى تلك الأسباب الخاصة بالطب. بقدر ما هي تُنسب إلى القضاء والقدر وحكمة الله ومشيئتة (حيث تتردد على ألسنتهم "ربنا عايز كده"). فأن عمق المعتقد الديني الذي مازال يلعب دوراً فعالا في الموروث الشعبي ويتضح تأثيرة في موت الاطفال رهن بإرادة اللة، وأن الاصابة بالتشوهات مرتبطة بمشيئة اللة في حين أن غالبية الوفيات في مرحلة الولادة إنما تعود إلى التشوهات الخلقية والأمراض الوراثية المميتة. ويقل دور الأمراض المعدية والظروف الأخرى، وتزيد احتمالات بقاء الطفل في الحياة إذا ما نجح في تجاوز مرحلة الطفولة الأولى ويُشير مقدمو الرعاية الصحية بالمجتمع إلى أن أولئك الأطفال الذين يصابون بالالتهاب الرئوي والنزلات المعوية الحادة عادة من ناقصي الوزن أو ضعاف البنية أو التقزم، ويتماشى ذلك مع ما ذهبت إليه بعض الدراسات من كون الزواج الداخلي قد ينتج أطفالًا أكثر قابلية للمرض أو أقل مناعة ومقاومة له، وقد يتفق هذا التخوف عند الإنقسنا لذا يشترط أن يكون زواجًا من الخارج Exogamy أو زواجًا اغترابيًا فيمنع الشاب من الزواج من بنات عمومته أو خؤولته ليتسع مدى التحريم من أبناء العمومة والخئولة، ويمنع أن يتزوج أفراد الأسرة من أسرة زوجة أبيه الأخرى، ويفسر إسماعيل على الفحيل هذا المنع، الأول أن تلك الجماعات منذ أن نشأوا وجدوا أجدادهم يقولون لهم (إذا تزوج أحدكم بقريبته فأنه سيأتي بأولاد مشوهين أو عويرين، والتفسير الثاني وهو ما يتردد كثيرًا على ألسنتهم (إن بنت عمك هذه بتقول منها قروش) أي سيأتي آخر ليتزوجها ويدفع مهرًا مقابل ذلك، وبالطبع فإن مثل هذا التفسير الاقتصادي غير متسق، لأن الشخص سيدفع أيضًا في المقابل لزواج فتاة من أسرة أخرى[(1)] أما رعاة الإبل في الصومال فقد نما لديهم الإدراك بأن الزواج من داخل القبيلة يؤدى إلى إضعاف النسل وإصابته بكثير من الأمراض وقد لاحظ هذه الظاهرة بفطرته أثناء اختياره نسلًا صحيحًا خاليًا من الأمراض عند تلقيح ناقته جملًا قويًا. فيعللون الزواج الداخلي بأنه لا يضيف دمًا جديدًا إلى العائلة كما أنه يعتبر مخاطرة على العلاقات القرابية القائمة[(2)]

أما قبائل الشيلوك والباري نجدهم يغتربون من الزواج الداخلي فلا يتزوج الشاب من أسرة أبيه أو أمه وإذا حدث ذلك كان لعنة على الزوجين، وتصل إلى حد موت الأجنة[(3)] ولذلك يحرم النوير على أنفسهم الزواج القرابي، وخاصة الأسر التي ظهر بها العيوب الخلقية ذات

---

(1) إسماعيل على الفحيل: مجلة وازا (الزواج عند الإنقسنا)، مجلة تعنى بالتراث السوداني، العدد الأول، 1980، ص30.

(2) سعاد شعبان، الرعي كأسلوب حياة في الصومال، مجلة الدراسات السودانية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1990، ص38.

(3) أحمد مدحت جابر، تحليل جغرافي للأمراض الوراثية في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص 475.

الأمراض الوراثية فهم لا يختتنون ذكورهم أو إناثهم إلا أن قبائل العبابدة والبشارية لا يدركون الآثار البيولوجية للزواج الداخلي فقد ذكرت لي إحدى المبحوثات إنهم مازالوا على موقفهم من تلك العادات وذلك إيمانًا بالمثل القائل " كل حنظلة في منبتها عزيزة " بمعني ان هذة العادات والتقاليد عزيزة علينا وهو مايمثلة الحنظل علي اعتبار انة نبات مُرّ المذاق غير مستساغ ولا يملك شيء يميزه سوى امتلاك منبته . فهو عزيز لا يمكن احتقاره ويعتقد الحنظل في نفسه انه يتميز عن غيره .لذا فهم يحملون هذا الاعتقاد.

ويقولون (من ضل بعاداتة نقصت سعادتة)، (إن الناقة لا ترى اعوجاج سناميها) (أي) تؤوكام وانكواتيوهلق كرهت) بمعنى أنها لا ترى فيه عيبًا لأنه يمثل عاداتنا وتقاليدنا التي نتمسك بها، وعبرت عن ذلك بقولها إن الجمل الذى يعرج ردئ بمعنى إننا ما زالنا نتمسك بهذا الزواج رغم مخاطره (أوكام أنكولن دانييت كيك) وكذلك مقولة (أببييت أمأ بكوى) بمعنى نحن نمسك دربنا ونثبت أقدامنا لتلك العادات التي تمثل شرعية القبيلة وهويتها[1]وعلي هذا تصبح الممارسات من قبيل الرواسب الثقافيةوليس ثمة تبرير واضح لهذا السلوك أو ذاك، وإنما يتم فعل مثل هذة الممارسات لأنها عادات الأباء والأجداد " ولهذا تكشف الدراسة أن بعض أطفال مجتمع الدراسة أحياء مصابون بأمراض وراثية، وغالبية هؤلاء النساء متزوجات من أقاربهن، سواء أقارب حتى الدرجة الثانية أو أبعد من ذلك، ويبلغ عدد أطفال هؤلاء النساء المصابين بأمراض وراثية، (59) مفردة حيث تتعدد الأمراض المصابون بها، ولعل أبرز هذه الأمراض أمراض الدم والأنيميا وسوء التغذية، والتي مثلت أعدادًا كبيرة من الأطفال، ويليها الأمراض الوراثية، والتي تمثل ما بين (2 إلى 3) في العزبة الواحدة. أما ثالث الأمراض ترددًا بين أطفال فكانت هي أمراض حساسية الصدر. وليس من المبالغة أن تذكر الباحثة أن كثيرًا من أطفال الشلاتين بقراها وعزبها مصابون بهذا المرض، الذي يتوارثة الأبناء من الأباء نتيجة زواج الأقارب عمومًا.

ومن هنا يمكن القول بأن زواج الأقارب دليل واضح على وجود الأمراض الوراثية التي تشكل تربة خصبة لتلك الأمراض. ويبدو أن زواج الأقارب ليس هو المسئول الوحيد عن ظهور الأمراض الوراثية؛ لكننا نجد أن زيادة معدلات الإصابة بالأمراض الوراثية تؤكد على خطورة هذا الزواج خاصة في ارتفاع نسبة حدوث وفيات الأطفال حديثي الولادة وزيادة التشوهات والأمراض الوراثية نتيجة للزواج الداخلي، والذى مازال إلى حد بعيد. فتحديد سلوكيات المجتمع نحو هذا النظام تجد صعوبة كبيرة لبذل أية محاولة لتعديلها، إيمانًا منهم بوعى زائف عن إيجابيات هذا الزواج أو لإحساس متنام بأن مثل هذا الزواج وإن كانت له

سلبياته فإن ما يوفره للمجتمع من إيجابيات تجعل من السهل التغاضي عن هذه السلبيات، وتحمل تبعات اختياره من قبل أعضائه والمجتمع.

إن استراتيجية الوقاية من تجنب تلك الممارسات والعادات السالبة وخاصة زواج القرابة الداخلي تكون من خلال الاعتماد على الزواج الاغترابيexogamy ليقل احتمال وجود الأمراض الوراثية والتشوهات المتنوعة، وذلك من خلال حملة توعية للحد من تأخر سن الزواج والتوسع في مكاتب فحص الراغبين في الزواج للكشف عن الخصائص الوراثية التي تساعد على وجود عيوب خلقية. كما ورد ضرورة تسخير إحدى القنوات التلفزيونية للتوعية بمثل هذه المخاطر واستضافة أطباء أكفاء يوضحون الحقائق العلمية والطبية، وتقديم بعض الأفلام والمسلسلات الدرامية للتوعية بطرق غير مباشرة، ووضع البرامج والمقررات التعليمية في المدارس كمعلومات طبية وعلمية خاصة في البيئة والمجتمع، وذلك للتوعية بمخاطر العادات السلبية حتى لا يقع ضحيتها في المستقبل.[1]

وهو ما يؤهلنا لفهم طبيعة الجماعة الشعبية لطرح المزيد من الخطابات الثقافية للتوعية الثقافية والطبية إيمانًا بأن تلك التحديات هي ثقافة مكملة لثقافة الانتماء والقرابة، ومعضدة بنظرة جماعات الدراسة لمنظومة أعرافهم وموروثهم الشعبي ومن هنا تكمن الخطوة الأولى في جهود التوعية من قبل القيادات الدينية والقبلية المحلية وبدون موافقة هؤلاء على ما نقول، من غير المتوقع أن يكون للرسائل التثقيفية أي تأثير.

إن الأستدامة البيئة والصحية لا يمكن أن تعتبر فقط كسياسية من سياسات الدولة يقتصر محتواها على توجيهات وقوانين ذات بعد قصير المدى بل يجب أن ترتقي إلى بعد استراتيجي تتكامل فيه مجهودات الدولة من خلال سياستها البيئية والصحية مع الثقافة البيئية والصحية والوعي البيئي للفرد والمؤسسة والمجتمع ككل لتطبيق هذا البعد الاستراتيجي وتحقيق التنمية المستدامة وبدون هذا التكامل سوف تكون محدودة وعاجزة عن تجسيد هدا البعد الاستراتيجي والتنمية المستدامة.

---

(1) علي محمد المكاوي، الأنثروبولوجيا التطبيقية، مرجع سبق ذكره، ص 350.